الايمان بنزول عيسى عليه السلام وكذا بخروج المهدى ففى فوائد الاخبار لابى بكر الاسكاف فى مسنده الى مالك بن انس عن محمد المنكدر عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كذب بالدجال فقد كفر ومن كفر بالمهدى فقد كفر وقال حذيفة ابن اسيد الغفارى طلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر فقال ماتذكرون قلنا نذكر الساعة قال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر المهدى والدجال والدابة وطلوع الشمس والقمر من مغربهما ونزول عيسى ابن مريم وياجوج وماجوج وثلث خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب كما فى شرح المقدسى ورواية غيره: قال عليه السلام لاتقوم الساعة حتى يظهر عشر علامات طلوع الشمس والقمر من مغربهما والدجال ودابة الارض وياجوج وماجوج ونزول عيسى عليه السلام وخروج الاسود الذى يخرب الكعبة وثلثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس تبيت معهم اذا باتوا وتقيل معهم اذا قالوا ذكره بعض الشراح ثم اول الآيات المؤدية بتغيير احوال العالم من معظم الارض خروج الدجال ثم نزول عيسى وخروج ياجوج وماجوج ومن الآيات العظام المؤدية بتغيير احوال العالم العلوى طلوع الشمس من مغربها ولعل خروج الدابة فى ذلك الوقت اوقريب منه واول المؤدية بقيام الساعة: النار التى تحشر الناس روى انه عليه السلام سئل عن مخرج الدابة فقال من اعظم المساجد حرمة على الله تعالى يعنى المسجد الحرام وقيل من تهامة وقيل من حيث فار التنور وقيل غير ذلك قال الترمذى فتخرج معها عصى موسى وخاتم سليمان فتجلد وجه المؤمن بالعصا وتختم انف الكافر بالخاتم حتى ان اهل المائدة الواحدة يجتمعون للطعام فينادى بعضهم لبعض يا مؤمن ويا كافر لايدركها طالب ولاينجو منها هارب حتى ان الرجل يتعوذ منها بالصلاة فتاتيه من خلفه وتقول يا فلان الآن تصلى ميل وهذه الدابة فصيل ناقة صالح عليه السلام فلما عقرت امها هربت فانفتح لها حجر فدخلت فيه فانطبق عليها فهى فيه الى ان ياذن الله بخروجها وروى ان طولها ستون ذراعا ولها قوائم وذنب وريش وجناحان وهى على خلقة الآدمى وانها جمعت من خلق كل حيوان وينقطع بخروجها الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والامر يومئذ لله والله اعلم واحكم قال الناظم رحمه الله

الكرامات جمع كرامة والمراد بها ههنا امر خارق للعادة مقرون بالعرفان والطاعة خال عن دعوى النبوة فخرج بالقيد الاول العاديات و بالثاني ما قرن بالفسق والفجور فانه يكون استدراجا او سحرا او مؤكدا لتكذيب الكاذبين كما روى ان مسيلمة اللعين دعا للاعور لتصح عينه العوراء فذهب ضوء عينه الصحيحة ايضا ويسمى هذا اهانة وبالثالث معجزات الانبياء عليهم السلام وقد تظهر الخوارق من عوام المسلمين للتخلص من المكاره والمظالم والمحن ويسمى هذا معونة وحاصله ان الخارق للعادة ستة وهي المعجزة والارهاص والكرامة والمعونة والاستدراج والاهانة والاولان مختصان بالانبياء عليهم السلام والثالث بالاولياء والرابع بكل مؤمن والاخيران بالفساق والفجرة والولى هو العارف بالله تعالى وصفاته بحسب ما يمكن المواظب على الطاعات المجتنب عن المعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات المباحة المعرض عن الدنيا المقبل على العقبى المديم على ذكر المولى جل شانه وهو فعيل بمعنى فاعل سمى به لانه تولى امر ربه ولم يخالف امره ونهيه او بمعنى مفعول لان الله تعالى تولى امره والدنيا بضم الدال على الاشهر وحكى ابن قتيبة[1] وغيره كسرها من الدنو وهو القرب سميت به لدنوها اى قربها من الآخرة او من الزوال او من الدنائة اى الخسة كما قال الشاعر :

اعاف دنيا تسمى من دنائتها دنيا والا فمن مكروهها الدانى

وحقيقتها جميع المخلوقات الموجودة قبل الآخرة وقيل الارض مع الهواء والجو قال بعض المحققين والاول اظهر فان قلت حقها ان تستعمل باللام كالكبرى والحسنى لانها في الاصل افعل تفضيل (مؤنث ادنى فيصح) قلت الدنيا خلت عن الوصفية واجريت مجرى ما لم يكن وصفا مما وزنه فعلى كرجعى ونهمى ومن استعمالها منكرة قول الفرزدق بيت : لا يعجبنك دنيا انت تاركها * كم نالها من اناس ثم قد ذهبوا وكثير من القرآن مشتمل على ذمها والانصراف عنها الى الآخرة لانها عدوة الله تعالى لقطعها طريق الوصلة اليه ولذا لم ينظر اليها منذ خلقها وعدوة لاوليائه لتزيينها لهم حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها وفي الخبر الحسن اَلدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا اِلَّا ذِكْرُ اللّٰهِ وَمَا وَالَاهُ وَعَالِمٌ اَوْ مُتَعَلِّمٌ والكون الوجود اى

(١) ابن قتيبة عبد الله المروزي من مشاهير النحويين توفي سنة ٢٧٦ هـ [٨٨٩ م.]

كرامات الاولياء لها وجود ومستلزم للجواز لجريان النيل بكتاب عمر رضي الله عنه والنوال: العطاء الاعراب كرامات مضاف الى الولي مبتدأ وبدار مضاف الى دنيا متعلق بكون او حال من كرامات او من الولي لان المضاف عامل فيه معنى ولها في محل رفع خبر قدم على المبتدأ وهو كون والجملة في محل رفع خبر وقيل خبره محذوف تقديره حق والاظهر ما قلنا كما لا يخفى فهم الفاء تفريعية او فصيحية هم مبتدأ واهل النوال خبره (وحاصل معنى البيت) ان كرامات الاولياء حال كونهم في الدنيا لها وجود وثبوت ووقوع اى حال حياتهم وكذا بعد الموت بمعنى اكرامه في قبره وادخال حضرة فيه وتوسيعه لا بمعنى تصرفه في العالم كما يعتقده جهلة العوام والمتصرف والمؤثر حقيقة هو الله تعالى وذكر هؤلاء الاخيار سبب عادي في ذلك التاثير وذلك مثل الكسب العادي ولا ينافيه قول الناظم بدار دنيا لان البرزخ من احكام الدنيا الا انه اراد بالكرامات المعنى الاول فيكون القيد احترازيا واعلم ان الدلائل على حقية الكرامات ووقوعها قد تواترت عن كثير من الصحابة رضي الله عنهم وممن بعدهم بحيث لا يمكن انكارها الا ممن اعمى الله بصيرته خصوصا الامر المشترك اعني مطلق الكرامة وان كان تفاصيلها آحاداً فمن انكر كرامات الاولياء كان خارجيا معتزليا لانه ينكر كلام الله تعالى قال تعالى لام موسى فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وهو كرامة لها وقال تعالى وَقَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ وهو آصف بن برخيا وكان وزير سليمان بن داوود عليهما السلام ولم يكن آصف نبيا فاتى بعرش بلقيس قبل ان يرتد طرف سليمان عليه السلام اليه في تلك الساعة من المسافة البعيدة وكذا ظهور الطعام والشراب لمريم رضي الله عنها فانه كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وكذا تكلم الكلب لاصحاب الكهف فلما جاز ان يكون في الامم السابقة كرامات للاولياء جاز أن يكون في امة محمد صلى الله عليه وسلم التي هي خير الامم بالاولى اذ شرف الامة بشرف نبيها ونبينا صلى الله عليه وسلم اشرف الانبياء فامته اشرف الامم فجاز ان يخص الله تعالى منهم من شاء بكرامات كسماع سارية رضي الله عنه في العسكر وهو بنهاوند قول عمر بالمدينة: يَا سَارِيَةَ الْجَبَلَ الْجَبَلَ وبينهما اكثر من خمسمأة فرسخ وكذا جريان النيل بكتاب عمر رضي الله عنه وسكون الارض بضربه لها بدرته حين زلزلت زلزلة عظيمة

وقال لها اسكنى انا عدل فسكنت ومنعه النار التى كانت تاتى المدينة كل عام نشر ثوبه فى وجهها ولم تات بعد ذلك وكشرب خالد رضى الله عنه قدحا من السم وكالمشى على الماء كما وقع لكثير من الاولياء وفى الهواء كما نقل عن جعفر بن ابى طالب وعن لقمان السرخسى وغيرهما وكلام الجماد كما روى انه بين يدى سلمان وابى درداء رضى الله عنهما قصعة فسبحت وسمعا تسبيحها وكما روى انه عليه السلام قال بينما رجل يسوق بقرة قدحمل عليها اذا التفتت اليه وقالت انى لم اخلق لهذا وانما خلقت للحرث فقال الناس سبحان الله بقرة تتكلم وغير ذلك مما وقع للاولياء من خوارق العادات وكل ذلك من معجزاته صلى الله عليه وسلم لان الولى تابع له وكل كرامة لولى تكون معجزة لمتبوعه ولا عبرة لانكار المعتزلة كرامات الاولياء واستدلالهم بانه لوجاز ظهور خوارق العادات من الاولياء لاشتبهت الكرامة بالمعجزة ولم يتميز بين النبى والولى لانا نقول ان ظهور الخارق من الولى ليس معه دعوى نبوة بخلافه من النبى وهو الفارق لانه ماخوذ فى تعريف المعجزة دون الكرامة .

تتمة ينبغى للولى الذى اكرمه الله تعالى ان يجتهد فى كتمان ماخصه الله به من الكرامات ولا يظهره بالدعوى فانه انحطاط فى درجته ونقصان فى مرتبته لاستر بينه وبين ربه فلا ينبغى ان يبوح به كما قال قائلهم ؛ من باح بالسركان القتل سيمته ؛ واما مايظهره بعضهم مما يزعم به المكاشفات والعلم بالمغيبات مع جهله باموز الدين فانما هو شان الدجالين الزائغين عن الحق المبين الضالين المضلين وسياتى تمامه والحمد لله رب العالمين قال الناظم رحمه الله

٣٣ وَلَمْ يَفْضُلْ وَلِيٌّ قَطُّ دَهْرًا نَبِيًّا اَوْ رَسُوْلًا فِى انْتِحَالِ

يفضل بضم كينصر من الفضل خلاف النقص واراد به هنا نفى الرجحان اى لا يرجح عليه بالفضل يقال فضل فلان فلانا اذا زاد عليه فى الفضل فذاك فاضل وهذا مفضول والفضيلة النعمة القاصرة على صاحبها كالزهد والصلاح والولاية والعلم الذى لا ينفع به غيره وغير ذلك والفاضلة النعمة التى يتعدى نفعها الى الغير ويقع الشكر بمقابلته كالكرم والتعليم ونحوهما وكل منهما يكون سجية وقد يحصل بالكسب وقد يجتمعان فى الشخص فيقال ذو الفضائل والفواضل وتقدمت قط وتخفيفها

افصح

افصح من تشديدها وهي لاستغراق ما مضى من الزمان وتختص بالنفي يقال
ما فعلته قط وبعض العامة لا افعله قط وهو لحن واشتقاقه من قططت الشيء
اى قطعته فمعنى ما فعلته قط ما فعلته فيما انقطع من العمر لان الماضي منقطع
عن الحال فيكون قوله دهراً تاكيداً والدهر هو الزمان كما قدمنا وتقدم
ايضا معنى النبى والرسول والانتحال افتعال قيل هو الادعاء الكذب وقيل المراد
به مرتبة الشرف وهذا حَلُّ مرادٍ لا حلُّ معنىً لما في القاموس انحله وتنحله ادعاه
لنفسه وهو لغيره وتحله القول كمنعه نسبه اليه انتهى فالمعنى ههنا ان الولى مهما
نسب اليه من الكرامات وان عظمت لم يجز ان يدعى ان مرتبته تعدل مرتبة نبى
او رسول وقيل معناه العطية يعنى انه ماخوذ من النحلة اى العطية لان الكرامة
عطاء الله تعالى ثم إعلم ان كلام المص رحمه الله لا يخلو عن مسامحة لان نفي التفضيل
يصدق بالمواساة ولا قائل به أيضا فكان الاولى تبديل كلمة يفضل بيعدل اونحوها
اوان يقول ومرتبة الولاية لا توازى لمرتبة النبوة في انتحال وقد يقال كان مراده
الرد على القائل بذلك فصرح به كما سنذكره الاعراب يفضل مجزوم بلم وولى
فاعله وقط ظرف زمان ودهرا منصوب على الظرفية ايضا والعامل فيهما يفضل
فهو من ذكر العام بعد الخاص ونبيا مفعول يفضل واو بمعنى الواو بمعنى بل
فتكون للاضراب لان الولى اذا لم يفضل النبى لم يفضل الرسول بالاولى وهذا
بناء على ما في بعض النسخ من تقديم رسولا على نبيا فيكون المعنى لا يفضل
الولى رسولا بل ولا نبيا فضلا عن رسولا واما على ما في اكثرها من تقديم
نبيا فيتعين ان تكون بمعنى الواو او بمعنى ولا على ما قاله ابن مالك في وقوعها
في مثل ذلك وان رده ابن هشام اى لم يفضل الولى نبيا ولا رسولاً وهذا مستقيم
على النسختين وفي انتحال متعلق بيفضل (وحاصل معنى البيت) ان الولى وان
علت رتبته وعظمت كرامته لا يفضل نبيا ولا رسولا ولا يساوى ولا يبلغ
مرتبة احدهما في زمن من الازمنة او لم يقع ذلك في جميع الدهر لان الولى
انسان صالح تابع لسنة الرسول ولا يصح ان يكون التابع اعلى من المتبوع او
في رتبته وقد قال عليه السلام في حق ابى بكر رضي الله عنه ماطلعت الشمس ولا غربت
على احد بعد النبيين افضل من ابى بكر " فان فيه دلالة صريحة على ان النبى افضل
من ابى بكر مع ان ابا بكر افضل من غير الانبياء فيكون النبى افضل من سائر الاولياء

بالضرورة وقد خالف في ذلك بعض الصوفية من اهل الاباحة فقال مرتبة الولي الكامل من الكمل افضل من النبي وهو كفر وزندقة فقد قال تعالى في حق الانبياء عليهم السلام ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ وكثير من الآيات شاهد على ذلك

واعلم ان من وصل الى درجة الاولياء وارتفعت منزلته بحيث بلغ اقصى مراتب الولاية لا يسقط عنه التكاليف والعبادات المفروضة كالصلاة والزكاة والحج والصوم وحقوق العباد ومن زعم ان من صار وليا ووصل الى الحقيقة تسقط عنه احكام الشرع فهو ملحد فاحذره كل الحذر فان العبادات لم تسقط عن الانبياء الذين هم في امان عن الانعزال فكيف تسقط عن الاولياء الذين ليسوا في امان عن ذلك على ان دعوى مثل ذلك لا يصدر عن ولي بحق لانه لا يكون الا عالما ما اتخذ الله وليا جاهلاً فدعوى مثل ذلك يدل على جهله وبعده عن الاسلام فضلا عن مرتبة الولاية واكثر ما يوجد هذا النوع في زماننا بالديار المصرية فانهم يتوسلون بترك العبادات وكشف العورات الى قضاء الشهوات ويزعمون الولاية وهم مكلفون والجهلة بهم يتبركون . ومنهم الدجالون واكثر ما يوجدون بالديار الرومية يدعون الكشف وعلم الغيب ويخبرون بما سيكون ليتوسلوا بذلك الى السحت والقبول عند الرؤساء وهم عندهم في اعلى المراتب والقبول ويصدقونهم فيما يزعمون وقد قال عليه السلام «مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ فِيمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ» صلى الله عليه وسلم او كما قال ولما اراد علي رضي الله عنه لقاء الخوارج قال له مسافر بن عوف وكان يعمل بالنجوم يا امير المؤمنين لا تَسِرْ في هذه الساعة وسر في ثلاث ساعات تمضي من النهار فانك ان سرت في هذه الساعة اصابك واصاب اصحابك بلاء وضرر وان سرت في الساعة التي امرتك بها ظفرت واصبت ما طلبت فقال علي رضي الله عنه ما كان ذلك لمحمد صلى الله عليه وسلم ولا لنا من بعده في كلام طويل يحتج فيه بآيات فمن صدقك فيما تقول لا أومن عليه ان يكون كمن اتخذ لله تعالى نداً اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك ثم قال نكذبك ونخالفك ونسير في هذه الساعة ثم اقبل الناسَ فقال ايها الناس انما المنجم كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار والله لئن بلغني انك تنظر في النجوم وتعمل بها لاخلدنك في الحبس ما بقيتَ وبقيتُ ولاحرمنك العطاء ما كان لي من سلطان ثم سار في الساعة التي نهاه عنها فلقي القوم وقتلهم وهي واقعة النهروان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . قال الناظم رحمه الله :

وللصديق

بسنتين ونحو اربعة اشهر و تولى الخلافة يوم الثلثاء لثلاثة عشر خلت من ربيع الاول و هو ثانى يوم مات فيه النبى صلى الله عليه وسلم وكانت مدة خلافته سنتين وثلثة اشهر وتسع ليال ومات بالمدينة ليلة الثلثاء لثمان بقين من جمادى الآخر رضى الله عنه وارضاه وجعل الجنة منقلبة ومثواه . قال الناظم رحمه الله :

٣٥ وَلِلْفَارُوقِ رُجْحَانٌ وَفَضْلٌ عَلىٰ عُثْمَانَ ذِى النُّورَيْنِ عَالى

الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه ابن نفيل ابن عبد العزى بن رِياح بكسر الراء وفتح الياء المثناة بن عبد الله بن قرط بضم القاف بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى العدوى القرشى يجتمع مع النبى صلى الله عليه وسلم فى كعب الاب الثامن وامه ختمة بجاء فنون فتاء فميم بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب وكونها بنت هاشم هو الصحيح اسلم عمر رضى الله عنه سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس بعد اربعين رجلا وعشر نسوة كما قال سعيد بن المسيب اوبعد خمسة واربعين رجلا واحدى عشرة امراة كما قال عبد الله بن ثعلب اوبعد تسعة وثلاثين رجلا كما قال غيرهما وكان بدعوة النبى صلى الله عليه وسلم له بقوله اللهم اعز الاسلام باحب الرجلين اليك بعمر بن الخطاب اوبعمرو بن هشام فكان احبهما اليه عمر بن الخطاب روى انه خرج متقلدا بسيفه فلقيه رجل من بنى زهرة فقال له الى اين تعمد ياعمر فقال اريد ان اقتل محمدًا قال وكيف تامن من بنى هاشم وبنى زهرة وقد قتلت محمدًا فقال عمر مااراك الا قد صَبأْتَ وتركت دينك الذى كنت عليه قال افلا ادلك على العجب ياعمر ان اختك وزوجها قد اسلما فمشى نحوهما مغضبا حتى اتاهما وكان عندهما رجل يقال له خباب فلما احس بعمر توارى فى البيت خوفا من عمر فدخل عليهما عمر وهم يقرؤن سورة طٰهٰ فقال ماهذه الهينمة التى سمعتها عندكم قالا ما عدا حديثا تحدثنا بيننا قال لعلكما صباتما فقال له ختنه ارايت ياعمر ان كان الحق فى غير دينك فوثب عليه عمر فوطئه برجله وطئًا شديدًا فدفعته اخته عن زوجها فضرب راسها فادماها فقالت وهى غضبى كان ذلك على رغم انفك : نشهد ان لا اله الا الله ونشهد ان محمدًا رسول الله فلما يئس عمر منهما قال اعطونى هذا الكتاب الذى تقرأونه فاقرأه وكان يقرأ الكتب فقالت له اخته انك رجس ولا يمسه الا المطهرون فقم فاغتسل اوفتوضا فقام

فتوضا

فتوضأ ثم قرأ طه الى قوله تعالى اِنَّنِیْ اَنَا اللّٰهُ فَاعْبُدْنِیْ وَاَقِمِ الصَّلٰوةَ لِذِکْرِیْ
وفى رواية سورة الحديد الى قوله آمِنُوْا بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهٖ فقال دلونى على محمد فلما
سمع خباب قول عمر خرج من البيت فقال ابشر يا عمر فانى ارجو ان تكون
دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ليلة الخميس اللهم اعز الاسلام بعمر بن الخطاب او
بعمرو بن هشام قال واين رسول الله قال فى الدار التى اسفل الصفا فانطلق حتى
اتى الدار وكان على الباب حمزة وطلحة وناس من الصحابة فلما رآى حمزة وجل
القوم من عمر قال نعم هذا عمر فان يرد الله بعمر خيراً يسلم و يتبع النبى صلى الله عليه وسلم وان
يكن غير ذلك يكن قتله علينا هينا وكان النبى صلى الله عليه وسلم داخل الدار يوحى اليه فخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اتى عمر فاخذ بمجامع ثوبه وحمائل سيفه فقال اما انت
منته يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزى والنكال ما انزل بالوليد بن المغيرة اللهم
هذا عمر بن الخطاب اللهم اعز الاسلام بعمر بن الخطاب فقال اشهد انك رسول
الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد
ان محمداً عبده ورسوله فكبر اهل الدار تكبيرة سمعها اهل المسجد ثم قال يا رسول الله
السنا على الحق ان متنا وان حيينا قال بلى والذى نفسى بيده انكم على الحق ان متم
وان حييتم قال عمر ففيم الاختفاء والذى بعثك بالحق لنخرجن فخرج فى صفين
حمزة فى احدهما و عمر فى الآخر حتى دخلوا المسجد فَنَظَرَتْ اليهم قريش والى حمزة
والى عمر فاصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها فلقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ح بالفاروق
اما لانه فرق الصحابة فرقتين او لانه فرق بين الحق والباطل وصح انه لما أسلم
نزل جبرائيل عليه السلام وقال يا محمد قد استبشر اهل السماء باسلام عمر وان المشركين
قالوا قد انتصف القوم اليوم منا وانزل على النبى صلى الله عليه وسلم يَاۤ اَيُّهَا النَّبِیُّ حَسْبُكَ اللّٰهُ وَمَنِ
اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ وهو اول من لقب بامير المؤمنين وعدَّ مناقبه يضيق عنها المقام
وقد منا بعضا منها رضى الله عنه وارضاه وَلِیَ الخلافة عشر سنين وستة اشهر وخمس
ليال واستكمل سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفى اول المحرم سنة اربع وعشرين طعنه
ابولؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة المجوسى لعنه الله بالمدينة يوم الاربعاء لاربع
بقين من ذى الحجة سنة ثلث وعشرين من الهجرة ودفن رضى الله عنه يوم الاحد
وناحت عليه الجن روى انه قال لولده عبدالله رضى الله عنه وعنه اذهب الى ام المؤمنين عائشة
وقل لها يستاذن منك عمر ان يدفن مع صاحبه فذهب اليها فقالت كنت اريده - تعنى المكان -

لنفسی ولَاُوثِرنَّہ علی نفسی فاتی عبد الله فقال له قد اذنت فحمد الله تعالی ثم دفن فیه وهو ثالث الاقمار التی رأتهم عائشة رضی الله عنها نزلوا فی حجرتها واعراب البیت ظاهر (وحاصل معنی البیت) ان عمر افضل من عثمان بن عفان رضی الله عنهما واذا فضل عثمان کان افضل سائر الصحابة بعد ابی بکر بالاولی فلیس فوق عمر فی الفضل سوی ابو بکر فهما افضل جمیع الصحابة رضی الله عنهم اجمعین اذهما وزیرا النبی صلی الله علیه وسلم لقوله علیه السلام ان لی وزیرین فی السماء ووزیرین فی الارض یعنی ابا بکر وعمر رضی الله عنهما قال الناظم رحمه الله

٣٦ وَذُوالنُّورَیْنِ حَقًّا کَانَ خَیْرًا مِنَ الْکَرَّارِ فِی صَفِّ الْقِتَالِ

المراد بذی النورین عثمان بن عفان رضی الله عنه لقب بذلک لان النبی صلی الله علیه وسلم زوجه بنتیه رُقیة ثم بعد موتها زوجه بنته ام کلثوم وبعد موتها قال له لوکان لی غیرهما لزوجتکها تولی الخلافة اثنتی عشرة سنة الا اثنتی عشرة لیلة قتل یوم الجمعة لثمانیة عشر خلون من ذی الحجة سنة خمس وثلثین وهو ابن تسعین سنة وکان استشهاده فی الدار وبین یدیه المصحف فنضح الدم علی هذه الآیة: فسیکفیکهم الله وَهُوَالسَّمِیعُ الْعَلِیمُ وتمام قصته مذکور فی السیر وصلی علیه الزبیر رضی الله عنه بوصیته الیه ودفن بالبقیع وهو اول من دفن فیه وکان رضی الله عنه اشبه الناس بالنبی صلی الله علیه وسلم خرج ابن عدی عن عائشة رضی الله عنها انها قالت لما زوج النبی صلی الله علیه وسلم بنته ام کلثوم بعثمان قال لها ان بعلک اشبه الناس بجدک ابراهیم وابیک محمد علیهما الصلوٰة والسلام الاعراب الواو عاطفة جملة علی جملة ذوالنورین مرفوع بالواو مبتدأ وهو اظهر مما فی بعض النسخ من جره بالیاء عطفا علی الفاروق لانه یکون خبرًا ولیس فی الکلام مایصلح مبتدأ ویصیر الکلام منفکا کما لایخفی علی المتامل وحقا مفعول مطلق ای احق ذلک وقد تقدم من تاخیر وکونه قسمًا کما قیل غیر ظاهر من الترکیب وکان ناقصة واسمها مستتر یرجع الی ذوالنورین وخیرًا خبرها والجملة خبر المبتدء ومن الکرار متعلق بخیرًا وجملة فی صف القتال متعلق بالکرار او فی محل نصب حال من الضمیر المستتر فیه (وحاصل معنی البیت) انه ثبت بالسنة والاجماع ثبوتا قطعیا ان عثمان بن عفان رضی الله عنه الذی قال فی حقه النبی صلی الله علیه وسلم لکل نبی رفیق فی الجنة ورفیقی فی الجنة عثمان بن عفان خبر ان افضل من علی الموصوف بالحیدر الکرار فی صف القتال الذی لم یقع له نعت الفرار لا بالاختیار ولا بالاضطرار لثبات

قلبه

قلبه على القرار وصدق صحبته ومجاهدته مع النبي المختار واليه اشار الناظم رحمه الله

٣٧ وَلِلْكَرَّارِ فَضْلٌ بَعْدَ هٰذَا ۞ عَلَى الْاَغْيَارِ طُرًّا لَا تُبَالِي

لُقِّبَ علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه بالكرار لما قدمنا وقوله بعدهذا اشارة اما الى ماذكر من ترتيب تفضيل الثلاثة ابي بكر ثم عمر ثم عثمان فيستفاد منه تفضيلهم عليه مقابلة اواشارة الى عثمان فيستفاد تفضيل الاولين عليه بطريق الاولوية لانه اذا فضله المفضول فضله الافضل بالاولى وعلى كل فتفضيلهم عليه قد علم مما تقدم انه كرر ذكر تفضيل عثمان عليه ردا لما سنذكره من الخلاف فالاظهر ان الاشارة الى عثمان اقرب مذكور والاغيار جمع غير والمراد بهم بقية الصحابة اوجميع الامة بعد الثلاثة المذكورين لايقال يتعين ارادة الاول لان اغيار جمع قلة فيحمل على الاول فانا نقول استعماله في الكثرة شايع ذايع وعلى آل الجنسية تبطل ارادة الجمعية بالكلية الاعراب للكرار خبر مقدم على المبتدأ وهو فضل وبعد منصوب على الظرفية متعلق بكائن مضاف وهذا في محل جر مضاف اليه على الاغيار متعلق بفضل اوبما تعلق به الظرف الاول وكل منهما في محل رفع صفة بعد صفة لفضل وطرًّا بمعنى جميعا حال من الاغيار لا تبال لا نافية تبال مجزوم بها بحذف الياء والياء الموجودة للاشباع (وحاصل معنى البيت) ان عليا رضي الله عنه وكرم الله وجهه بعد هؤلاء الثلاثة افضل جميع امة محمد صلى الله عليه وسلم من بقية الصحابة وغيرهم فعليك بالتمسك بهذا القول فانه مذهب اهل السنة والجماعة ولا تبال بقول من خالف في ذلك من الشيعة وكثير من المعتزلة القائلين بتفضيل علي على الصديق وقول بعض اهل السنة منهم سفيان الثوري بتفضيله على عثمان وما نقل عن مالك من انه توقف بينهما فقدحكى الامام القاضي ابوالفضل عياض ان مالكا رجع الى قول الاكثر الذي استقر عليه مذهب اهل السنة ولا يرد السؤال بانهم كيف فضلوا عليا وهو اقربهم الى النبي صلى الله عليه وسلم نسبا وصهرا لان ذلك من فضل الله يؤتيه من يشاء على ان ذلك لا يقدح في كمال مرتبته كيف وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له: اَنتَ أخِي فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ ويدل لافضليتهم على هذا الترتيب خلافتهم كذلك كما اشار اليه صاحب الجوهرة بقوله وامرهم في الفضل كالخلافة، والادلة من السنة على ذلك كثيرة تظافر دلالة مجموعها حتى تظهر لمن اطلع عليها كفلق الصبح وبعلي رضي الله عنه ختمت الخلافة الثابتة للاربعة باشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا الترتيب في تلك المدة ووقع على ذلك الترتيب

الاجماع وذلك لان الصحابة رضي الله عنهم قد اجتمعوا يوم توفى النبي صلى الله عليه وسلم في سقيفة بني ساعدة واستقر رايهم بعد المشاورة على خلافة ابي بكر رضي الله عنه فاجمعوا على ذلك وبايعه على كرم الله وجهه و رضي الله عنه على رؤس الاشهاد ولولم تكن الخلافة حقا له لما اتفق عليه الصحابة ولنازع على رضي الله عنه كما نازع معاوية رضي الله عنه ولاحتج عليهم لوكان في حقه نص كما زعمه الشيعة وكيف يتصور في حق اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الاتفاق على الباطل وترك العمل بالنص الوارد ثم ان ابابكر رضي الله عنه لما آيس من حياته دعى عثمان واملى عليه كتاب عهده لعمر فلما كتب ختم الصحيفة واخرجها الى الناس وامرهم بان يبايعوا لمن في الصحيفة فبايعوه حتى مرت بعلي فقال بايعنا لمن فيها وان كان عمر فوقع الاتفاق على خلافته ثم استشهد وتُرِكَ الخلافة شورى بين الستة عثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص ثم فوض الامر خمستهم الى عبد الرحمن بن عوف ورضوا بحكمه فاختار عثمان وبايعه بمحضر من الصحابة فبايعوه وانقادوا الى امره وصلوا معه الجمع والاعياد ثم استشهد عثمان رضي الله عنه وترك الامر مهملا فاجتمع كبار المهاجرين والانصار على علي كرم الله وجهه فكان اجماعا صح لما كان افضل عصره واولهم بالخلافة وما وقع من المخالفات والمحاورات لم يكن عن نزاع في خلافته بل عن خطا في الاجتهاد وما وقع من الاختلافات بين الشيعة واهل السنة في هذه المسئلة وادعاء كل من الفريقين النص في باب الامامة وايراد الاسئلة والاجوبة من الجانبين فمذكور في المطولات ثم كانت مدة خلافة الاربعة ثلاثين سنة كما اخبر به عليه الصلاة والسلام الخلافة بعدي ثلثون سنة ثم تكون ملكا عضوضا » اى الخلافة الكاملة التي لا يشوبها من المخالفات فلا يرد انه اتى بعدهم خلفاء راشدون كعمر بن عبد العزيز[1] اسلم علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه وعمره سبع سنين حين دعاه النبي صلى الله عليه وسلم وولى الخلافة بعد عثمان خمس سنين الا ثلثة اشهر قيل اول من اسلم ولذلك كان يفتخر بذلك وفيه يقول :

سبقتكم الى الاسلام طرًا ٭ صبيا ما بلغت اوان حلمي ٭ وسبقتكم الى الايمان قهرًا ٭ بقوة صارمي ووان عزمي

وبهذا استدل اصحابنا على صحة اسلام الصبي العاقل وصحة ارتداده وقيل ان اول من اسلم ابو بكر رضي الله عنه وقيل خديجة رضي الله عنها وقيل زيد بن حارثة رضي الله عنهما قال المحققون توفيقا بين الاقوال والاورع ان يقال ان اول من اسلم من الرجال الاحرار ابوبكر رضي الله عنه ومن الصبيان علي رضي الله عنه ومن النساء خديجة رضي الله عنها ومن الموالى زيد بن حارثة رضي الله عنه ومن العبيد بلال رضي الله عنه وعنهم اجمعين ولم يسجد علي رضي الله عنه لصنم قط ولهذا يقال كرم الله وجهه

---

(١) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن حكم ثامن خلفاء الامويين توفي سنة ١٠١ هـ [٧٢٠ م.]

قال الثوري[1] نقلوا عنه آثاراً كثيرة تدل على انه علم السنة والشهر والليلة التي يقتل فيها وانه لما خرج الى صلاة الصبح صاحت الرواقي اى الديوك في وجهه فقال دعوهن فانهن نوايح وروى انه جاء اليه رجل من مراد وهو يصلي في المسجد فقال له احترس فان اناسا من مراد يريدون قتلك فقال ان مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر عليه فاذا جاء القدر خليا بينه وبينه فان الاجل حصينة ضربه عبد الرحمن المرادى بن ملجم بسيف مسموم في جبهته فاوصله الى دماغه ليلة الجمعة وتوفي ليلة الاحد التاسع او السابع عشر من رمضان سنة اربعين ثم بعد الاربعة الخلفاء رضي الله عنهم في الفضل بقية العشرة المشهود لهم بالجنة والاجماع على ذلك روى اصحاب السنن وصححه الترمذى عن سعيد رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عشرة في الجنة ابو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلى في الجنة والزبير في الجنة وطلحة في الجنة وعبد الرحمن في الجنة وابو عبيدة في الجنة وسعد بن ابي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة ولم يرد صريح تفضيل بين هؤلاء الستة وممن شهد له بالجنة فاطمه والحسن والحسين رضي الله عنهم لما في الحديث الصحيح ان فاطمة اسعد النساء وان الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة ثم اهل بدر وفي الحديث الصحيح لعل الله اطلع على اهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ويليهم اهل احد الذين شهدوا وقعتها ويليهم اهل بيعة الرضوان قال عليه السلام لا يدخل النار احد ممن بايع تحت الشجرة رواه ابو داود ونقل ابو منصور التميمي الاجماع على هذا الترتيب وهذا باعتبار من حضر احدى الغزوات دون غيرها والا فقد يكون احد يا بدريا مثلا فافهم ثم سائر الصحابة رضي الله عنهم افضل من غيرهم من بقية الامة قال عليه السلام لا تسبوا اصحابي فوالذى نفسي بيده لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه رواه مسلم فباقي الامة افضل من سائر الامم قال تعالى كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ وذلك مع اختلاف مراتبهم باختلاف اوصافهم واعمالهم فمنهم العالم والعابد والتالي والسابق والمقتصد والظالم لنفسه وقد قال بعض العلماء: من الدين تفضيل الشيخين يعني ابا بكر وعمر وحب الختنين يعني عثمان وعليا لان الختن هو الصهر ومن جعلهما الحسن والحسين فقد غلط كما نبه عليه غير واحد وان يرى المسح على الخفين ويعتقد ان ابا حنيفة اماما ومالكا والشافعي واحمد وسائر أئمة اهل السنة على هدى من ربهم

---

(1) سفيان الثوري من ائمة اهل السنة توفي سنة ١٦١ هـ [٧٧٨ م.] في البصرة

فى العقائد وغيرها ولا التفات لمن تكلم بما هم بريئون عنه   قال الناظم رحمه الله

٣٨ وَلِلصِّدِّيقَةِ الرُّجْحَانُ فَاعْلَمْ عَلَى الزَّهْرَاءِ فِي بَعْضِ الْخِصَالِ

يعنى ان الصديقة اى عائشة ام المؤمنين بنت ابى بكر الصديق رضى الله عنه وعنها زوجة النبى صلى الله عليه وسلم بعد خديجة على ما سنبينه افضل من فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض الخصال لا مطلقا وافضل نساء العالمين مطلقا واحب النساء الى النبى صلى الله عليه وسلم واعلمهن بالسنة قال عليه السلام خذوا شطر دينكم عن هذه الحميراء وقال عليه السلام كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران وآسية إمرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الاطعمة وروى عن ابى موسى انه قال ما اشكل علينا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث فسئلنا عنه عائشة الا وجدنا عندها منه علما وتكنى بام عبد الله كناها به النبى صلى الله عليه وسلم باسم ابن اختها عبد الله بن الزبير[1] لما سئلته فى ذلك تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة بسنتين وقيل بثلاثة وقيل بنحو ثمانية عشر شهرا وهى بنت ست سنين وبنا بها فى المدينة فى شوال منصرفة من بدر وهى بنت تسع سنين وبقيت عنده تسع سنين روى انه عليه السلام لما خطبها من ابيها ابى بكر قال يا رسول الله انها صغيرة لا تصلح لك ولكن انا ارسلها فان كانت تصلح فمن السعادة الكاملة قال عليه السلام ان جبريل اتانى بصورتها على ورقة من الجنة وقال ان الله تعالى زوجك بهذه ثم ذهب ابو بكر رضى الله عنه الى منزله وملأ طبقا من تمر وغطاه وقال يا عائشة اذهبى بهذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقولى له هذا الذى ذكرته لابى بكر فان كان يصلح فبارك عليك فمضت اليه عائشة رضى الله عنها بالطبق وهى تظن ان ابا بكر يعنى التمر فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغته فقال قبلنا يا عائشة قبلنا وجذب طرف ثوبى قالت فنظرت اليه مغضبة ودخلت على ابى بكر فاخبرته بما وقع فقال يا بنية لا تظنين برسول الله صلى الله عليه وسلم ظن سوء ان الله تعالى قد زوجك به وانى قد زوجتك منه قالت عائشة فما فرحت بشئ اشد من فرحى بقول ابى قد زوجتك منه والصحيح انها لم تلد قط وذكر السهيلى فى الروض انها القت سقطا ولم يثبت ذلك وذكر النووى فى التفضيل بينها وبين خديجة اوجها ثالثها الوقف واختار السبكى تفضيل خديجة ثم عائشة ثم حفصة ثم الباقيات من ازواجه صلى الله عليه وسلم ولم يتعرض له المص واراد بالزهراء فاطمة رضى الله عنها كما قدمنا لقبت بالزهراء قيل لانها

(١) عبد الله بن الزبير بن العوام وابن اسماء بنت ابى بكر الصديق استشهد سنة ٧٣ هـ [٦٩٢ م.] المدينة المنورة

لم تحض قط وروى انها ولدت وقت غروب الشفق فطهرت من النفاس فى ليلتها واغتسلت وصلت العشاء فى وقتها قيل سبب عدم حيضها انه عليه السلام دخل الجنة ليلة المعراج اعطاه رضوان تفاحة فلما اكلها تقوى وتفرقت القوة فى جميع اعضائه فجامع خديجة فحملت بفاطمة وفيه نظر ظاهر وكان لها نور يضيء حتى روى عن عائشة رضي الله عنها انها كانت تقول كنت اسلك الخيط فى سم الخياط فى الليلة المظلمة من نور وجه فاطمة فلذلك لقبت بالزهراء وعن ابى جعفر الاستروشنى[1] وبعض الائمة انها افضل من عائشة لان درجة عائشة انما ارتفعت تبعا للنبى صلى الله عليه وسلم بالزوجية ودرجة فاطمة اصلية بالجزئية واكثر الائمة قالوا ان عائشة رضي الله عنها افضل لان درجتها مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الجنة وفاطمة رضي الله عنها مع على فى الجنة وفرق بين المقامين وقال القاسم بن محمد[1] ان عائشة استقلت بالفتوى زمن ابى بكر وعمر وعثمان فمن بعدهم ولم يحصل لغيرها من النساء هذه المرتبة وقيل التفضيل بينهما بالاعتبار فعائشة افضل من جهة العلم وفاطمة من جهة البضعية والى هذا يشير كلام المصنف بقوله فِي بَعْضِ الْخِصَالِ وهو الراجح وقال بعضهم لا نقول بالترجيح بل نقول كانت عائشة رضي الله عنها افضل ازواج النبى صلى الله عليه وسلم بعد خديجة وفاطمة رضي الله عنها افضل بناته وقال الشراح والذى اشار اليه المص فى البيت هو الصحيح دفنت عائشة رضي الله عنها بالبقيع سنة سبع او ثمان وسبعين وعاشت ستا وستين سنة وصلى عليها ابو هريرة رضي الله عنه وروى لها الف حديث وعشرة اتفق البخارى ومسلم منها على مائة واربعة وسبعين وانفرد البخارى باربعة وسبعين ومسلم بثمانية وستين واما فاطمة رضي الله عنها فروى لها ثمانية عشر حديثا الاعراب للصديقة خبر مقدم الرجحان مبتدء مؤخر على الزهراء متعلق بالرجحان وقوله فاعلم معترض بينهما وفى بعض الخصال متعلق بالرجحان ايضا او فى محل نصب حال منه نظرا للفظه قال الناظم رح

٣٩ وَلَمْ يَلْعَنْ يَزِيدًا بَعْدَ مَوْتٍ ۞ سِوَى الْمِكْثَارِ فِى الْاِغْرَاءِ غَالِ

وجه مناسبة ايراد هذا البيت ههنا انه كما يجب التفضيل والتعظيم للصحابة رضي الله عنهم وكذالك للتابعين رضي الله عنهم اجمعين يجب الكف عن التكلم فى حقهم بما لا يليق وما وقع بينهم من التشاجر وما وقع من بعضهم من السقطات وخص يزيد بالذكر لرد الخلاف فى جواز لعنه وليفيد ان التكلم فى حق غيره من الصحابة والتابعين ممن لم يقع منه ما وقع

(١) قاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق توفي سنة ١٠٦ هـ [٧٢٤ م.] في قديد

من يزيد من قبيح الافعال لايجوز بالاولى واللعن الطرد والابعاد واصطلاحاً يحتمل معنيين الاول البعد عن رحمة الله تعالى وهو مراد المص وهذا لايجوز الا في حق من قطع بموته على الكفر او يئس من توبته كابليس والثاني البعد عن مقام الابرار ودرجات الاخيار وهو محمل ماورد من لعن نحو الفاسق والظالم وآكل الربا المسلم ونحوهم كما سياتي ويزيد هو ابن معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه ابيه وجده والمكثار مفعال وهو كثير اللغو في مالا يعني قيل اراد بهم الروافض والمعتزلة والاغراء بكسر الهمزة والمد الافساد والتحريض عليه وغال بالغين المعجمة اسم فاعل من الغلو وهو المبالغة في التعصب الاغراب يلعن مجزوم بلم ويزيد مفعوله وصرفه للضرورة وبعد موت في محل نصب حال من يزيد وحذف الضمير الرابط للضرورة اى حال كونه ميتا ولو ذكره ووقف عليه بالسكون لاستقام ايضا وقيل تنوينه عوض عن الضمير وسوى اداة استثناء مفرغ في محل رفع فاعل لم يلعن مضاف الى المكثار في الاغراء جار ومجرور اما متعلق بالمكثار وغال صفة لانه في معنى النكرة او بدل منه ومعمول غال محذوف دل عليه ماقبله اى غال في الاغراء واما متعلق بغال قدم عليه وغال بدل من المكثار اوحال منه ووقف عليه بالسكون اى حال كونه غاليا في الاغراء (وحاصل معنى البيت) لم يلعن يزيداً ميتا وكذا حيا بالاولى الاكل باغ مفتر كثير اللغو مخالف لاهل السنة والجماعة اولما عليه الجمهور منهم فاحترز ايها العاقل عن شتمه واكفف عن لعنه فانك لست مكلفا بذلك ولا مسئولا عنه في الآخرة وما قاله الروافض والخوارج وبعض المعتزلة وذهب اليه التفتازاني من جواز لعنه لرضاه بقتل الحسين واستبشاره به واهانه اهل بيت النبوة وقوله : لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرٍ شَهِدُوا جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقْعِ الأَسَلْ وان ذلك يؤذن بكفره اذ معناه انه يتمنى لو وجد كفار قريش الذين قتلوا ببدر كابي جهل فيروا اهانته لاهل المدينة وفعله ببيت النبوة فمردود فقد نقل في التمهيد[1] ان يزيد لم يامر بقتل الحسين رضي الله عنه وانما امرهم بطلب البيعة منه او باخذه وحمله اليه حيا فهم قتلوه من غير حكمه وكان ذلك من عبيد الله بن زياد[2] حيث جيش عليه الجيوش من الكوفه فلاقوه في كربلا فقتلوه والقصة مذكورة في المطولات على ان الامر بقتل الحسين بل نفس قتل غير الانبياء مباشرة من غير استحلال لا يوجب جزاء اللعن على مقتضى اهل السنة اذ غاية الامر انه اذا لم يستحله يكون بذلك فاسقا لا كافراً ولايجوز لعن الفاسق المؤمن بل ولا الكافر الحي بعينه لاحتمال موته مؤمنا ما لم يتحقق

(١) مؤلف التمهيد ميمون بن محمد النسفي توفي سنة ٥٠٨ هـ [١١١٤ م.]

(٢) عبيد الله بن زياد بن معاوية والي الكوفة قُتل سنة ٦٧ هـ [٦٨٧ م.]

موته على الكفر وبغير عينه يجوز كقوله تعالى الا لعنة الله على الظالمين وقوله عليه السلام لعن الله آكل الربا وموكله الحديث ونحو ذلك ومن المحقق ان يزيد لم يخرج عن كونه من المصلين وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن لعن المصلين وقد توسع بعضهم وقالوا نحن لا نتوقف في لعنه لما صدر منه وقال السعد التفتازاني على العقائد رحمه الله واختلفوا في لعن يزيد بن معاوية فذكر في الخلاصة[1] وغيرها انه لا ينبغي اللعن عليه ولا على الحجاج[2] لان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن لعن المصلين ومن كان من اهل القبلة وما نقل من لعن النبي صلى الله عليه وسلم لبعض من اهل القبلة فلما انه يعلم من احوال الناس ما لم يعلمه غيره وبعضهم اطلقوا اللعن عليه لما انه كفر حين امر بقتل الحسين رضي الله عنه واتفقوا على جواز اللعن على من قتله او امر به او اجازه او رضي به والحق ان رضا يزيد بقتل الحسين واستبشاره بذلك واهانته اهل بيت النبوة مما تواتر معناه وان كان تفاصيلها آحادا فنحن لا نتوقف في شانه بل في ايمانه لعنه الله عليه وعلى انصاره واعوانه انتهى فتدبر ونقل علي قاري رحمه الله الباري ايضا عن بعض العراقيين لعنه لما انه كفر بما استحل من محارم الله بفعله في اهل البيت ثم قال ولا يخفى ان الاستحلال امر قلبي غائب عن ظاهر الحال ولو فرض وجوده اولا يحتمل انه مات تائبا آخرا فلا يجوز لعنه باطنا ولا ظاهرا انتهى والحاصل ان الظاهر من كلامهم أن الاختلاف في جواز لعنه مبنى على انه هل كفر بذلك حيث ثبت صدوره منه اولا وذلك مبنى على انه هل استباح ذلك ام لا ولم يظهر لنا حقيقة الحال فاولى لنا السكوت عن شانه فانه اسلم واورع على انا لم نكلف بلعنه ولا نسئل بتركه في الآخرة فلا يضرنا السكوت عنه مع ان لعنه يوجب السؤال وان لم يكن فيه نكال غاية الامر انه يجب علينا الانكار ما وقع منه من قبيح الافعال لانه متسبب على كل حال والله اعلم بحقيقة الحال .

تتمة يجب الكف عما وقع بين الصحابة رضي الله عنهم اجمعين ونعتقد ان الكل مأجورون اذ الطعن فيهم ان كان مما يخالف الدليل القطعي كقذف عائشة رضي الله عنها او سب احد الشيخين فهو كفر والا ففسق واعتزال ما لم يكن من الطاعن عن اجتهاد ممكن فجائز منه كقول علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه في حق معاوية رضي الله عنه واهل الشام انهم اخواننا بغوا علينا وفي الجملة لم ينقل عن احد من السلف المعتبرين جواز التكلم في حق معاوية وامثاله لانهم كانوا مجتهدين والمجتهد ماجور وان اخطا ولم يسلم ان امرهم

---

(١) مؤلف خلاصة الفتاوى طاهر البخاري توفي سنة ٥٤٢ هـ [١١٤٧ م.]

(٢) الحجاج الظالم بن يوسف توفي سنة ٩٥ هـ [٧١٤ م.]

لم يكن عن اجتهاد ففغاية امرهم البغى والخروج على الامام وهو فسق والفسق عند اهل السنة لا يخرج عن الايمان كما قدمنا والله تعالى اعلم واحكم . قال الناظم رحمه الله تعالى

٤٠ وَايمانُ الْمُقَلِّدِ ذُو اعْتِبارٍ بِانْواعِ الدَّلائِلِ كَالنِّصالِ

المقلد اسم فاعل من التقليد وهو قبول قول الغير بلا استدلال والمراد به ههنا العقد الجازم بما ياتى به الشرع من العقائد بدون استدلال ونظر بل اخذا من الغير فيكفى فى صحة الايمان ممن لم يكن اهلا للنظر والاستدلال التلفظ بالشهادتين المبنى على العقد الجازم ويقاس غير الايمان من التكاليف عليه واراد بالاعتبار الاعتداد بالشئ والانواع جمع نوع وهو المقول على كثيرين مختلفين بالعدد دون الحقيقة حقيقيا كان اواضافيا والمراد بها ههنا العقل والنقل وفعله صلى الله عليه وسلم والاجماع فجعل كلا منها نوعا والدلائل جمع دليل وهو عند الاصوليين ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه الى العلم بمطلوب خبرى فهو عندهم ما يستدل بوقوعه اى بشئ من حالاته على وقوع غيره وهو المناسب ههنا وعند غيرهم هو الذى يلزم من العلم به العلم بشئ آخر وهو المدلول فالعالم عند الاصوليين دليل على اثبات الصانع وعند غيرهم ماينتجه الحكم عليه من القضايا كالعالم حادث وكل حادث له صانع وهذا ظاهر كلام بعض المحققين من الاصوليين فانهم لا يطلقون الدليل على القضايا بل على المفردات فقط ولم نظفر بتصريحهم بذلك بل كلامهم عام كما علم فى محله والنصال جمع نصل وهو حديدة السيف والسهم ونحوهما اى الدلائل القطعية الاعراب الواو عاطفة قصة على قصة اواستينافية وايمان مبتدأ مضاف والمقلد مضاف اليه وذو مرفوع على الخبرية مضاف الى اعتبار وبانواع متعلق بمقدر اى ثابت اوثبت ذلك بانواع الدلائل ولا يصح تعلقه باعتبار كما لا يخفى على اهل الاعتبار وقيل متعلق بالمقلد اى يكتفى بايمان من قلد بالدلائل القطعية قيل فيه نظر لانه يكون ناظراً لا مقلداً يعنى اذا اريد بالدلائل مصنوعاته تعالى اما اذا اريد بها ما قدمنا فلا مانع وقوله كالنصال فى محل النصب حال من انواع الدلائل اوفى محل الجر صفة للدلائل اى المماثلة للنصال (وحاصل معنى البيت) ان ايمان المقلد معتبر عند الاكثر ثبت ذلك بادلة قطعية كالنصال القاطعة واضحة لا شبهة فيها اوفى صحة تقليده بها كقوله عليه السلام أُمِرْتُ اَنْ اُقاتِلَ النّاسَ حَتّى يَشْهَدُوا اَنْ لا اِلٰهَ اِلَّا اللهُ وَاَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ وكان عليه السلام

يكتفى

يكتفى فى ايمان الاعراب الخالين عن النظر بمجرد التلفظ بكلمتى الشهادة وكذلك الصحابة من بعده قال الشارح الحنفى قال ابو حنيفة و مالك والشافعى والاوزاعى[1] رضوان الله عليهم اجمعين ايمان المقلد صحيح ولكنه عاص بترك الاستدلال عليه وهذا مذهب اهل السنة وقالت المعتزلة ايمان المقلد ليس بصحيح اذ لا معرفة له والايمان هو المعرفة فهو لا مؤمن ولا كافر وحكم ابو هاشم من رؤسائهم بكفره وهو مردود بما قدمنا والصحيح ما عليه اهل العلم واللغة من ان الايمان هو التصديق مطلقا فاذا اخبر المقلد بما يجب عليه الايمان به فاذعن له وانقاد اليه كان مؤمنًا ويدل على صحته ايضا قوله عليه السلام حين سئله جبريل عن الايمان : ان تؤمِنَ بِاللّٰـهِ وَمَلٰئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتؤمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، فانه عليه السلام مااجاب الا بمجرد التصديق وهو حاصل فى المقلد والجواب عن شبهتهم ان المعرفة غير الايمان بدليل انفكاكه عنها فان اهل الكتاب يعرفون الله كما يعرفون ابنائهم ولكن لا يصدقون كما نطق به القرآن وهذا انما هو فى حق من نشأ على شاهق جبل ولم يسبق له التفكر فى العالم ولا فى الصانع حتى اخبر بذلك فصدقه واما من نشأ فى بلاد المسلمين وسبح الله تعالى عند رؤيته صنعا من صنايعه فهو خارج عن التقليد خصوصا بعد انتشار الدين ووضوح البراهين حتى ان الصبى المميز اذا تامل فى هذا الملكوت علم ان صانعه واحد احد فرد صمد مستحق لجميع العبادات ثم اعلم ان الايمان هو التصديق بجميع ماجاء النبى صلى الله عليه وسلم من عند الله بالقلب مع القبول والانقياد واختلف فى النطق به فقيل شطر واختاره بعض ائمتنا الحنفية كشمس الائمة وفخر الاسلام البزدوى[2] رحمهم الله وقيل شرط وعليه جمهور المحققين ومنهم ابو منصور الماتريدى ومعظم الاشاعرة رحمهم الله حيث ذهبوا الى انه التصديق بالقلب فقط والاقرار شرط لاجراء احكام الاسلام فى الدنيا فمن صدق بجنانه حق التصديق بما قدمنا وانقاد اليه كان مؤمنا عند الله تعالى وان لم يتلفظ بلسانه غير معاند وعلى الاول لا يكون مؤمنًا قال شيخنا وخلاصة الكلام ان ايمان المقلد صحيح عند الائمة الاربعة رحمهم الله وكان عاصيا بترك الاستدلال على انه يرى قلبه مقلد فى الايمان بالله تعالى اذ المعتبر فى الاستدلال على ذلك الاستدلالُ والنظر على طريق العامة كالاستدلال بحدوث الحوادث على وجوده تعالى وعلى صفاته من العلم والارادة والقدرة وغيرها وكلام العوام فى الاسواق محشوق بذلك والله اعلم بالصواب . قال الناظم رحمه الله تعالى

(١) عبد الرحمن الاوزاعي من فقهاء الشام توفي سنة ١٥٧ هـ [٧٧٤ م.] في بيروت
(٢) فخر الاسلام علي البزدوي الحنفي توفي سنة ٤٨٢ هـ [١٠٨٩ م.] في سمرقند

وَمَا عُذْرٌ لِذِى عَقْلٍ بِجَهْلٍ ۞ بِخَلَّاقِ الْاَسَافِلِ وَالْاَعَالِى

العذر ما يسقط معه اعتبار الحكم وان امكن ايجاده بكلفة فهو اعم من المانع اذ المانع ما يلزم من وجوده انعدام الحكم بالكلية فالمريض قد يمكنه التكلف للصوم مثلا بخلاف الحائض والعقل فى الاصل الحبس ومنه عقال البعير ثم نقل وسمى به الادراك الانسانى لانه يحبس صاحبه عما يستقبح ويعقله بما يستحسن ثم سمى به القوة النظرية التى يدرك بها النفس هذا الادراك وهو معنى قولهم غريزة يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات وقول بعضهم هو نور فى القلب يفيد الادراك وذلك النور يقل ويكثر فاذا قوى قمع ملاحظة الهوى مبنى على ان العقل عرض وهو التحقيق وما قيل من انه جوهر تدرك به الغائبات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة فمبنى على انه هو النفس لانها عند جمهور المتكلمين جوهر جسمانى لطيف سار فى البدن وعند جماعة منهم الغزالى رحمه الله الى انها جوهر مجرد اى ليس جسما ولا قوة جسمانية حالة فى البدن وانما اتصالها بالجسم اتصال كاتصال حكم حاكم بمصر فى الشام يديرها وهو غير حال فيها وهو قول الفلاسفة وذهب كثير من المتكلمين الى انها عرض والحق ان العقل والنفس متغايران لغة وعرفا وان الامساك عن الخوض فى العقل احوط كالخوض فى الروح بناء على تغايرهما وهو الراجح كما اشار اليه صاحب الجوهرة بقوله : ولا تخض فى الروح اذ ما وردا ۞ نص عن الشارع لكن وجدا

لمالك هى صورة كالجسد ۞ فحسبك النص بهذا السند

والعقل كالروح ولكن قرروا ۞ فيه خلافا فانظرن ما فسروا

وقد ذكرنا بعض ما فسروا وهو من اشرف المواهب الالهية كما قيل :

لم يهب الله لامرئ هبة ۞ احسن من عقله ومن ادبه

هما حياة الفتى فان فقدا ۞ من الفتى فالموت اليق به

ثم الحاصل من نظر العقل نوعان ضرورى يحصل باول النظر من غير تفكر كالعلم بان الكل اعظم من جزئه واستدلالى يحتاج فيه الى نوع تفكر كالعلم بوجود النار عند رؤية الدخان واختلف فى محله من الانسان فقيل الدماغ ونوره فى القلب حتى يدرك به الغايات وكماله ان ينجى صاحبه من ملامة الدنيا وندامة الآخرة وقيل محله القلب واشراقه يضرب الى الدماغ وسئل على رضى الله عنه عن محله فقال القلب

واشراقه

واشراقه الى الدماغ واختلف هل للكافر عقل فقيل لا يعطى الكافر لانه ينافى الشرك بالله تعا ولوكان له عقل لآمن وانما يعطى الذهن واستدلوا بقوله تعا وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ وهذا موافق لقول من قال ان العقل هو العلم والجمهور على انه يعطاه وحملوا العقل فى الآية على النافع اذالعقل اذا لم يفد فائدته ينزل منزلة العدم ولان الشرك نوع من الجهل والجهل يجامع العقل ولانه يلزم عدم خطابه وتكليفه بالايمان وعرفوا الجهل بانه معرفة للمعلوم على خلاف ما هو به وقيل انتفاء العلم بالمقصود وهو الاظهر لشموله قسميه: البسيط والمركب واراد بالاسافل والاعالى الارضين والسموات وما فيهما وما بينهما وما سوى ذلك مما تسافل الاعراب ما بمعنى ليس عذر اسمها وذو بمعنى صاحب مجرور باللام مضاف الى عقل فى محل نصب خبر ما وبجهل متعلق بعذر والباء فيه سببيه وبخلاق متعلق بجهل والاسافل مجرور باضافة خلاق اليه والاعالى عطف عليه (وحاصل معنى البيت) انه لا عذر للعاقل البالغ فى جهله بخالقه مع ما يرى من وصول نعمته وعظيم قدرته من خلق السموات والارض وما فى خلق نفسه وانشائه من العدم وخلق هذا العالم وتكوينه وانتظامه قال تعا أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ فان فى كل منها للمتامل دلالة واضحة على وحدانية خالقها كما قيل: وَفِى كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ» وقال المحققون لم يبعث الله الرسل الا للتوحيد لا لاثبات وجود الصانع كما يشعر به قوله تعا قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فالكفار كلهم لم يكونوا شاكين فى وجود الصانع وانما كفروا بالقول بتعدد الآلهة وقال الاشعرية لاعبرة للعقل بدون السمع حتى قالوا ان من اعتقد الشرك ولم تبلغه الدعوة فهو معذور وحاصله ان اهل القبلة كلهم اتفقوا على حرمة الكفر ووجوب الايمان وانما اختلفوا فى انه هل يكفى فى وجوب الايمان العقل فقط اولا بد من السمع فمن نشا بعيدا من المسلمين ولم تبلغه الدعوة وهو بالغ عاقل هل يجب عليه المعرفة والايمان بربه بدون تبليغ ام لا واذا لم يؤمن هل يخلد فى النار ام لا فيه خلاف بين اصحابنا الحنفية ايضا فعن بعضهم نعم وهو مروى عن الامام ابى حنيفة رضى الله عنه قال ولو لم يبعث الله رسولا لوجب على الخلق معرفته بعقولهم وقال ابو اليسر البزدوى لا يجب

عليه ويعذر ولا يكفي مجرد العقل بدون السمع وبه قالت الاشعرية ومنهم من قال بوجوبه الا انه لا يعذب به كما هو رواية عن ابي حنيفة رضي الله عنه بل يكون عاصيا لقوله تعالى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا والاولون حملوا نفي العذاب على عذاب الاستئصال في الدنيا لا على العذاب في العقبى وبعضهم جعل الرسول ما يشمل العقل ايضا وفيه بعد وملخص كلام الشيخ النسفي[1] في اصوله حيث قال العقل معتبر لاثبات الاهلية وانه خلق متفاوتا وقال بعض الاشعرية لا عبرة للعقل اصلا دون السمع واذا جاء السمع فله العبرة دون العقل وقالت المعتزلة العقل علة موجبة لما استحسنه محرمة لما استقبحه على القطع فوق العلل الشرعية وقالوا لا عذر لمن عقل في الوقف وترك الايمان والصبي العاقل مكلف بالايمان ومن لم تبلغه الدعوة اذا لم يعتقد ايمانا ولا كفرا كان من اهل النار ونحن نقول في الذي لم تبلغه الدعوة انه غير مكلف بمجرد العقل فاذا لم يعتقد ايمانا ولا كفرا كان معذورا فاذا اعانه الله تعالى بالتجربة وامهله لدرك العواقب لم يكن معذورا وان لم تبلغه الدعوة وعند الاشعرية ان غفل عن الاعتقاد حتى هلك او اعتقد الشرك ولم تبلغه الدعوة كان معذورا ولا يصح ايمان الصبي العاقل عندهم وعندنا يصح وان لم يكن مكلفا به انتهى قال بعضهم ومن هنا نشأ الخلاف في اهل الفترة هل يعذبون ام لا والصبي العاقل اذا كان بحال يمكنه الاستدلال هل يجب عليه المعرفة قال كثير من مشايخ العراق يجب واليه يشير ظاهر كلام المص رحمه الله بقوله لذي عقل الا ان يكون مراده به الاحتراز عن المجنون وقال بعضهم لا يجب عليه شئ قبل البلوغ وهو الظاهر ولذا لو ارتد لا يقتل وبالاتفاق انه لا يعاقب على ترك العبادات وان امر بها تخلقا واما اسلامه وارتداده فصحيح عندنا والصبي الذي لا يعقل لا يخاطب بشئ اصلا اتفاقا قال الناظم رحمه الله

٤٢ وَمَا اِيمَانُ شَخْصٍ حَالَ يَأْسٍ ... بِمَقْبُولٍ لِفَقْدِ الْاِمْتِثَالِ

الياس بالمثناة التحتية على ما في بعض النسخ وهو انقطاع الرجاء والمراد به ههنا ان يصير الى حالة لا يرجى فيها حياته ويقطع بموته عاجلا بان تبلغ روحه الحلقوم او يقطع الحلقوم والمرئ او يشق بطنه ويخرج حشوه او يغرق وسط البحر ويغمره الماء وهو لا يحسن السباحة ونحو ذلك لانه اذا صار في حالة من هذه الحالات يئس من حياته عادة فلا يقبل ايمانه ح وضبطه بعض الشراح بالباء

(١) عبد الله النسفي الحنفي توفي سنة ٧١٠ هـ [١٣١٠ م.] في بغداد

الموحدة قال وهو الشدة والمضرة والمراد هنا سكرات الموت قال ولم يقله بالياء المثناة موافقة لقوله تعالى فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا انتهى ولا يخفى انه بالباء الموحدة اعم منه كما هو الظاهر الا ان يراد بالياس ههنا مشاهدة عذاب الآخرة كما قال شارح والمراد بالياء هنا شدة عذاب الآخرة لان المؤمن عند نزع الروح يرى مكانه في الجنة والكافر يرى شدة عذاب الآخرة ومكانه في النار وهو الظاهر ههنا والامتثال: الانقياد والطاعة الى الامر والنهى الاعراب ما نافية بمعنى ليس ايمان اسمها مضاف الى شخص وحال منصوب على الظرفية مضاف الى يأس والعامل فيه ايمان وتعلقه بمقبول غير مقبول كما لا يخفى على اهل العقول وبمقبول في محل النصب خبر ما ولفقد في محل رفع خبر مبتدأ محذوف اى وذلك لعدم الامتثال اى الانقياد والايتمار باوامر تعالى قبل ان يصل الى تلك الحالة (وحاصل معنى البيت) ان ايمان الكافر وقت يأسه من الحياة او عند معاينة الباس غير مقبول لقوله تعا فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا وقوله تعا وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ فقد قال جماعة ان المراد بالسيئات: الشرك او عمل النفاق وقال تعا في شان فرعون حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ انه لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فقال تعا باستفهام الانكار آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فلم يقبل ايمانه ح كما مشى عليه الجمهور. قيد بالايمان لان توبة المؤمن العاصى ح مقبولة عندنا قال شارح واما توبة المؤمن المذنب في تلك الحالة فمقبولة باجماع الامة انتهى يعنى حالة الاحتضار لكن في دعوى الاجماع نظر قال الشارح المقدسى وهذا بخلاف توبة المسلم العاصى ح فانها تقبل ما لم يغرغر اى تبلغ الروح الحلقوم لما روى ابن عمر رضى الله عنهما انه عليه الصلاة والسلام قال إِنَّ اللهَ تعا يَقبلُ توبةَ العبدِ ما لم يُغرغِر والفرق بين المؤمن والكافر فيما ذكر ان المؤمن العاصى قد سبقت منه المعرفة بربه قبل ذلك واما الكافر فلا معرفة له ويريد ان يبتدئ ح ايمانا فلا ينفعه انتهى ورده على قارى رحمه البارى وساوى بينهما في عدم القبول ح مستدلا بظاهر الآية المتقدمة بان السيئات شاملة لغير الكفر قال ومن القواعد ان معارضة النص القطعى غير مقبولة انتهى اقول وبالله التوفيق ان فيه خبطا لا يخفى منشأه التخليط بين الحالتين فان المراد باليأس في الآية مشاهدة اهوال الآخرة كما قدمنا فهذه حالة لا يرجى فيها الحياة فهى حالة اليأس

فصار فيها في حكم اهل الآخرة فلا فرق بينهما في هذه الحالة في عدم قبول كل منهما على الاصح واما اطلاق الياس على ماقبلها فالمراد به شدة المرض والخوف والقرب من الحالة الاولى والكلام فيها فالتوبة فيها مقبولة دون الايمان كما تقدم والجمهور على هذا وعليه فلاحاجة الى الجواب بان المراد من السيئات في الآية غير الشرك لانه صرف الكلام عن ظاهره من غير مقتض فافهم والى هذا يشير كلام صاحب الكشاف وهو الحق ولا عبرة بكلام من لم يفهم كلامه حيث قال في قوله تعا ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ الزمان القريب ما قبل حضرة الموت الا ترى الى قوله تعا حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ الآية فيتعين أن الاحتضار هوالوقت الذى لا تقبل فيه التوبة فبقى ماوراء ذلك في حكم القريب ثم ذكر بعد خطوط ان قوله تعا الذين يموتون عطف على الذين يعملون السيئات قال ساوى بين الذين سوّفوا توبتهم الى الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في انهم لاتوبة لهم لان حضرة الموت اول احوال الآخرة فكما ان المائت على الكفر فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف الى حضرة الموت لمجاوزة كل منهما اوان التكليف والاختيار انتهى وتابعه على ذلك البيضاوى فقال ساوى بين من سوف التوبة الى وقت حضور الموت من الفسقة والكفار في نفي التوبة للمبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة وكانه قال وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء انتهى فتدبر وقال في البزازية قال علماؤنا وانما صحت التوبة في هذا الوقت لان الرجاء باق ويصح من الندم والعزم على ترك الفعل قال في التفسير الكبير في قوله تعا وليست التوبة الاية دلت على ان من حضره الموت وشاهد اهواله فتوبته غير مقبولة وكذلك قوله تعا حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ الآية وكذلك قوله تعا وَأَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ فانه تعا اخبر في هذه الآيات ان التوبة لا تقبل عند حضور الموت ثم قال اى في التفسير الكبير والمحققون على ان قرب الموت لا يمنع من قبول التوبة بل المانع من قبولها مشاهدة الاهوال التى تجعل العلم عندها على سبيل الاضطرار بالله تعا فهذا كلام الحنفية والمالكية والشافعية من المعتزلة والسنية والاشاعرة والماتريدية وان توبة الياس لا تقبل كايمان الباس بجامع عدم الاختيار وخروج النفس من اليد وعدم ركن التوبة وهو العزم بطريق التصميم على ان لايعود في المستقبل الى ما ارتكب وهذا لا يتحقق في توبة الياس اذا اردت بالباس

معاينة

معاينة اسباب الموت بحيث يعلم قطعا ان سلطان الموت مدركه لا محالة كما اخبر الله تعا فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ اِيمَانُهُمْ لَمَّا رَاَوْا بَأْسَنَا وهذا البيان لان الباس ماهو وقد ذكر في بعض الفتاوى ان توبة الياس مقبولة ان اراد بالياس ما ذكرنا يرد عليه ما قلنا وان اراد بالباس القرب من الموت مطلقا فلا كلام فيه لكن الظاهر ان زمان الباس زمان الياس ومعاينة الهول والمسطور في الفتاوى ان توبة الباس مقبولة بخلاف ايمان الياس لان الكافر اجنبي غير عارف بالله تعا وابتدأ ايمانا وعرفانا والفاسق عارف وحاله حال البقاء والبقاء اسهل وقوله تعا حَتّىٰ اِذَا حَضَرَ اَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ اِنِّي تُبْتُ الْاٰنَ يحتمل ان يراد به تقييد التوبة بالآن بان يقيد توبته بزمان العجز كما يقال تاب يوما او عاما والدليل على قبولها مطلقا اطلاق قوله تعا وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ انتهى كلام البزازى فتحصل لك ان ايمان الباس غير مقبول بالاتفاق وان توبته مختلف فيها والاصح عدم القبول وان الحالة التى تقرب من الباس قد يطلق عليها الباس والتوبة فيها مقبولة بالاتفاق فليفهم هذا المقام على النظام فانه من مزالق الاقدام وقد وقع فيه كثير خبط من بعض فضلاء الانام والحمد لله ملهم الصواب واليه المرجع والمآب

فائدة قيل لما وصل فرعون الى قوله وانا من المسلمين اخذ جبرائيل من اوحال البحر اى طينه الاسود فسد فمه مخافة ان تدركه الرحمة وانما فعل به ذلك عقوبة له على ما كان منه والله اعلم . قال الناظم رحمه الله تعا رحمة واسعة

٤٣ وَمَا اَفْعَالُ خَيْرٍ فِي حِسَابٍ مِنَ الْاِيمَانِ مَفْرُوضَ الْوِصَالِ

المراد بافعال الخير هنا الطاعة والعبادات مطلقا فيتناول البدنية والمالية وغيرهما كالصوم والصلاة والزكاة والصدقات وحب الخير للمسلمين وان اطلق الخير فى بعض المواضع واريد به خصوص المال كما فى قوله تعا وَاِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ قال البيضاوى اى المال من قوله تعا اِنْ تَرَكَ خَيْرًا وقوله في حساب اى فى اعتداد بمعنى انها لا يحتسب ولا يعتد بها فى حقيقة الايمان وليست جزءً منه بل هى خارجة عن حقيقته وان كان كماله بها لانه عبارة عن التصديق وحده او مع الاقرار باللسان على ما قدمنا الا ان التصديق ركن لا يحتمل السقوط اصلا ولا يتوقف على شئ آخر من فعل خير او غيره والاقرار قد يحتمل السقوط كما فى حالة الاكراه وكالخرس وقولهم انتفاء الجزء

يستلزم انتفاء الكل مبنى على ان الاقرار شطر وهو خلاف الراجح و لو سلم فان ذاك انما هى فى الماهية الحقيقية لا الاعتبارية واذا سقط الاقرار فى الجملة و لم يعتبر كان التصديق فقط نفس الايمان فمن صدق حق التصديق كان مؤمنا عند الله وان توقف اجراء الاحكام عليه على الاقرار باللسان كما قدمنا قال السعد رحمه الله والاجماع منعقد على ايمان من صدق بقلبه وقصد الاقرار باللسان و منعه مانع من خرس ونحوه انتهى فلا تكون افعال الخير داخلة فى ذات الايمان وان حصل بها كماله و لذا قيد الناظم بقوله مفروض الوصال دفعا لما يتوهم من نفى كونها من الايمان ان لا يكون لها تعلق به اصلا فافاد ان المنفى كونها من حقيقة الايمان وليست متصلاً به كاتصال الجزء بالكل والا فلها تعلق بكماله فافهم **الاعراب** ما بمعنى ليس افعال اسمها مضاف الى خير فى حساب فى محل نصب خبر ما و من الايمان متعلق بحساب اى ليست محسوبة ويصح ان يجعل الظرف الثانى و فى حساب فى محل نصب حال من الايمان قدمت عليه و مفروض الوصال حال اخرى من الايمان وحذفت تنوينه واضيف والاصل مفروضا وصاله فال فى الوصال عوض عن الضمير او حال من افعال خير وحذفت منه التاء للضرورة والتقدير مفروضة الوصال وفائدة التقييد بها انه لما نفى الخير ان يكون من الايمان اوهم ان لا يكون به تعلق اصلا فدفعه بصرف النفى الى هذا القيد كما قدمنا والا فكمال الايمان انما هو بالاعمال (وحاصل معنى البيت) ان الاعمال الصالحة كالعبادات ليست عندنا داخلة فى مفهوم الايمان ولا محسوبة منه مفروضة الاتصال لانه تعا عطفها على الايمان بقوله اِنَّ الَّذِيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ والمعطوف غير المعطوف عليه و جعله شرطا لها بقوله : وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ والشرط غير المشروط له وخاطب بوجوب الايمان قبل وجوب الاحكام بقوله : يَا اَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ فلو كانت من جملة الايمان لما سماهم بالمؤمنين قبل وجودها ولما نزل فرضية شئ منها الا بعد وجود الايمان و قد اثبت الايمان لمن ترك بعض الاعمال بقوله تعا : وَاِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ اقْتَتَلُوا فاثبت لهم الايمان مع وجود المقاتلة التى هى بعض الاعمال و فسره عليه افضل الصلاة و اتم التسليم حين سئله جبرائيل ما الايمان بقوله اَنْ تُؤْمِنَ بِاللّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ولم يذكر الاعمال ولو كانت داخلة فى حقيقته لذكرها خصوصا والمقام مقام

العليم وللاجماع على من آمن فمات قبل ان توجد منه الاعمال مات مؤمنا وكذا من عاش في اقصى البلاد او على راس جبل وبقي سنين ولم يعلم بالشرايع ومات مات مؤمناً ولانه قد يرتفع العمل ولا يرتفع الايمان كالحائض فانها امرت بترك الصلاة مثلا ولا يجوز ان يقال بترك الايمان وكذا سقوط الحج والزكات عن الفقير وهذا ما عليه اكابر العلماء كابي حنيفه رحمه الله واصحابه واختاره امام الحرمين وجمهور الاشاعرة لماقدمنا من ان حقيقة الايمان التصديق القلبي فقط اومع الاقرار باللسان وعلى القولين فالاعمال ليست داخلة فيه ويتفرع عليه ان الايمان عندنا لايزيد ولاينقص لكنه يقوى ويضعف وذهب الامام الشافعي والاوزاعي[1] من ائمة الحديث الى انها داخلة في الايمان وانه يزيد وينقص وعليه البخاري قال كتبت عن الف وثمانين رجلا ليس فيهم الاصاحب حديث كلهم كانوا يقولون الايمان قول وعمل ويزيد وينقص وقيل النزاع في المسئلة بين الفريقين لفظي وبينه بعض المحققين بان الشافعي ومن وافقه يقولون انها ركن من الايمان الكامل بمعنى ان تاركها لايكون كافرا بل يخرج عن الايمان الكامل لا عن حقيقة الايمان بحيث لايكون مؤمنا اصلا كما هو قول المعتزلة قال السعد رحمه الله ولايخفى ان هذه الوجوه يعني الدلالة على ان الاعمال ليست داخلة في حقيقة الايمان انما تقوم حجة على من يجعل الطاعات ركنا من حقيقة الايمان بحيث ان تاركها لايكون مؤمنا كما هو رأي المعتزلة لاعلى من ذهب الى انها ركن من الايمان الكامل بحيث لا يخرج تاركها عن حقيقة الايمان كما هو مذهب الامام الشافعي انتهى وذهب الكرامية الى ان الايمان هو الاقرار فقط وذهب بعض المعتزلة الى انه العمل فقط فتحصل ان الاقوال خمسة في ثلاثة منها هو بسيط وفي واحد منها هو مركب من اثنين وفي واحد مركب من ثلاثة واحتج من قال بدخول الاعمال في الايمان وانه يزيد باعتبارها وينقص بقوله تعالى وَاِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ اٰيَاتُهٗ زَادَتْهُمْ اِيْمَانًا واجيب بان المعنى والله اعلم زادتهم نور الايمان والتمكن منه لا نفس الايمان اذ لوكانت داخلة في حقيقته لزم عدم الفائدة في خطابه تعالى بالايمان في حق من علم ايمانه كقوله تعالى يَاۤ اَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْۤا اِذَا قُمْتُمْ اِلَى الصَّلٰوةِ وقوله اَقِيْمُوا الصَّلٰوةَ وَاٰتُوا الزَّكٰوةَ وغير ذلك كما قدمنا ولوكان ما أمر به من الاعمال من حقيقة الايمان لدخل في خطاب الايمان ولخرج خطاب الامر بالاعمال عن الفائدة تعالى كلام الرب عن ذلك علوا كبيرا قال في شرح العقائد وماورد من الآيات

---

(١) عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعي توفي سنة ١٥٧ هـ. [٧٧٤ م.] في بيروت

الدلالة على زيادة الايمان كقوله تعا وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا فمحمول على ما ذكره ابوحنيفة رحمه الله من انهم كانوا آمنوا في الجملة ثم ياتى فرض بعد فرض وكانوا يؤمنون لكل فرض خاص فالزيادة انما هي باعتبار زيادة ما يجب الايمان به تفصيلا وهذالا يتصور في غير عصر النبي صلى الله عليه وسلم انتهى فان قلت ان بعض الاحكام ثبت بعد النبي عليه السلام كالثابت بالاجماع قلنا هو مؤمن به قبل اجماعهم اجمالا بقوله عليه السلام عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي تتمة الايمان والاسلام واحد اذ الاسلام هو الخضوع والانقياد بمعنى قبول الاحكام والاذعان حقيقة التصديق على ما قدمنا ويؤيده قوله تعا فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وبالجمله لايصح في الشرع ان يحكم على احد بانه مؤمن وليس بمسلم او مسلم وليس بمؤمن ولا نعنى بوحدتهما سوى هذا وظاهر كلام المشايخ انهم ارادوا عدم تغايرهما بمعنى انه لاينفك احدهما عن الآخر لا الاتحاد بحسب المفهوم لما ذكر في الكفاية من ان الايمان هو تصديق الله فيما اخبر به من اوامره ونواهيه والاسلام هو الانقياد والخضوع لالوهيته وذا لايتحقق الا بقبول الامر والنهى فان الايمان لاينفك عن الاسلام حكما ومن اثبت التغاير يقال له ماحكم من آمن ولم يسلم او اسلم ولم يؤمن اى اثبت لاحدهما حكما ليس بثابت للآخر والاظهر بطلان قوله فان قيل قوله تعا قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا صريح في تحقيق الايمان بدون الاسلام قلنا المراد ان الاسلام المعتبر في الشرع لا يوجد بدون الايمان وهو في الآية بمعنى الانقياد والظاهر من غير انقياد الباطن بمنزلة المتلفظ بكلمة الشهادة من غير تصديق في باب الايمان فان قيل قوله عليه السلام في تفسير الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله وتقيم الصلاة الحديث دليل على ان الاسلام هو الاعمال دون التصديق القلبي الذى فسر به الايمان فلا يكون الاسلام والايمان واحداً قلنا المراد ان ثمرات الاسلام وعلاماته ذلك كما قال عليه السلام للوفد اتدرون ما الايمان بالله وحده قالوا الله ورسوله اعلم فقال صلى الله عليه وسلم شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وان تعطوا من المغنم الخمس وكما قال عليه افضل الصلاة والسلام الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق فقد اطلق الايمان على ثمراته وما يكون به كماله والله اعلم . قال الناظم رحمه الله تعا رحمة واسعة :

ولايقضى

العهر بفتح العين المهملة و سكون الهاء الزنا واسم الفاعل منه عاهر ومنه قوله علیه السلام الولد للفراش وللعاهر الحجر اى وللزانى الرجم بالحجر والمراد بالقتل قتل النفس المعصومة عمداً بغير حق غير مستحل قتلها و يتبعه قتل عضو معصوم كذلك والاختزال بالخاء المعجمة والتاء المثناة والزاء اى الاقتطاع والمراد اقتطاع مال معصوم بغير حق كالسرقة ونحوها وفى معنى ذلك جميع مظالم العباد فانها كلها كبائر وانما اقتصر على هذه الثلثة منها لانها اعظمها بعد الكفر ولذا خصها علیه السلام بالذكر فى النهى عن انتهاكها بقوله كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه رواه مسلم وجعلها كل المسلم لان قوامه بها وروى ابن عمر رضی الله عنهما انها تسعة اعظمها الشرك بالله تعالى ثم قتل النفس وقذف المحصن والزنا والفرار من الزحف والسحر واكل مال اليتيم وعقوق الوالدين المسلمين والالحاد فى الحرم اى الذنب فيه قيل ولو صغيرة فالكبيرة فيه كبيرتان وزاد فيه ابو هريرة رضی الله عنه اكل الربا وزاد على رضی الله عنه السرقة وشرب الخمر وقيل هى كل ما توعد عليه الشارع بخصوصه فى كتاب اوسنة وقيل كل معصية اصرّ عليها العبد فهى كبيرة وما استغفر عنها فهى صغيرة وقيل غير ذلك وبالجملة فالمؤمن لا يخرج عن ايمانه بفعل شئ منها اوفعل كلها ما عدا الكفر

الاعراب لا نافية يقضى مضارع مبنى للمفعول من قضى بمعنى قدر اوقطع والمراد ان لا يحكم اولا يقطع بكفره ونائب فاعله محذوف اى على المؤمن وبكفر متعلق بيقضى وارتداد معطوف على كفر وبعهر وما عطف عليه متعلق بكفر والباء سببية واو بمعنى الواو اوعلى بابها وهو ابلغ (وحاصل معنى البيت) انه لا يحكم بكفر المؤمن عن الاسلام وخروجه عن الايمان بسبب ارتكابه زنا اوقتل نفس اوسرقة مال معصوم اوغير ذلك كترك عبادة تكاسلا اوكل ما هو كبيرة غير الكفر فان شيئا من ذلك اومجموعه لا يخرج المؤمن من ايمانه لبقاء التصديق ما لم يستحل شيئا من ذلك وهذا مذهب اهل السنة والجماعة خلافا للخوارج حيث قالوا بكفره وخلوده فى النار زعما بان الايمان لا يجامع المعصية ولا واسطة عندهم بين الكفر والايمان بخلاف المعتزلة حيث زعموا ان مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر واثبتوا له منزلة بين المنزلتين يزعمون انه ليس بمؤمن لانتفاء الاعمال الصالحة

التی هی عندهم جزء من حقیقة الایمان علی زعمهم ولا کافر لبقاء التصدیق الذی هو اصل الایمان واحتج کل من الفریقین بظواهر ادلة متروکة الظاهر مردودة بما فی المطولات ونحن نقول انه یکون بذلك عاصیاً تحت المشیئة باقیا علی ایمانه حیث لم یکن مستحلا شیئا من ذلك ولم تکن الکبیرة شرکا قال الله تعا اِنَّ اللّٰهَ لَا یَغْفِرُ اَنْ یُّشْرَكَ بِهٖ وَیَغْفِرُ مَا دُوْنَ ذٰلِكَ لِمَنْ یَّشَاءُ ولا نقول ان المعصیة لا تضر مع الایمان کما لا تنفع الطاعة مع الکفر کما ذهب الیه اهل البدعة بل نقول لها دخل فی ضعف الایمان نعم اذا فعل المعصیة علی طریق الاستحلال او ترك الطاعة علی الانکار اوالاستخفاف فلا کلام فی ان یکون کفراً لکونه علامة التکذیب ولا نزاع فی ان من المعاصی ما جعله الشارع امارة التکذیب وعلم کونه کذلك بالادلة الشرعیة ولا یتوقف علی النیة کالسجود للصنم والقاء المصحف فی القاذورات ونحو ذلك مما ثبت بالادلة القطعیة تنبیه الکفر لغة الستر واصله الکفر بفتح الکاف سمی به لانه ستر الایمان وشرعا جحد ما علم بالضرورة مجیء النبی صلی الله علیه وسلم به کما مر وهو اربعة اقسام الاول کفر الجحود وهو ان یعرف الحق ولا یقر بلسانه ککفر ابلیس وامیة بن ابی الصلت الثانی کفر النفاق وهو ان یقر بلسانه ولا یعتقد بقلبه کالمنافقین یقولون بالسنتهم مالیس فی قلوبهم الثالث ان یعلم بقلبه ویقر بلسانه ولکن یابی ان یقبل الایمان فلا یدین به ککفر ابی طالب حیث قال

انی لاعلم ان دین محمد من خیر ادیان البریة دینا
لولا الملامة اوحذار سبته لوجدتنی سمحا بذاك مبینا

الرابع کفر الانکار وهو ان یکفر بقلبه ولسانه ولا یعرف بوحدانیة الله تعالی اصلا وبقی قسم خامس وهو الکفر الطاری بان یرجع عن الایمان بعد التصدیق والاذعان بالقلب واللسان وهذا القسم الذی اشار الیه المص والناظم رحمه الله تعا

---

٤٥ وَمَنْ یَنْوِ اِرْتِدَادًا بَعْدَ دَهْرٍ یَصِرْ عَنْ دِیْنِ حَقٍّ ذَا انْسِلَالِ

النیة قصد القلب مطلقا واصطلاحا قصد القلب الجازم علی فعل او ترك والردة الرجوع عن الشیء مطلقا وفی الشرع قطع الاسلام بقول کفر او فعله او نیته والدهر والزمان والحین بمعنی واحد وقد تقدم الدهر فی الاصل اسم لبقاء مدة العلم من مبدأ التکوین الی ان ینقرض وقد یعبر به عن کل مدة طویلة ولم یتکلم

فیه ابوحنیفه

فيه ابو حنيفه لورعه رحمه الله قيل سبب توقفه وعدم تكلمه فيه خبر لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر وقال صاحباه هو ستة اشهر فاكثر فاراد المص رحمه الله به ههنا مطلق الوقت طال اوقصر ودين الحق هو دين الاسلام والانسلال هو الخروج بسهولة من انسل اذا خرج من حيث لا يدرى الاعراب من اسم شرط جازم يجزم فعلين الاول فعل الشرط والثانى جوابه ينو: فعل الشرط مجذوم بحذف وفاعله مستتر يرجع الى من وارتدادا مفعول وبعد منصوب على الظرفية مضاف الى دهر يصرجواب الشرط مجزوم بسكون آخره وحذفت ياؤه لالتقاء الساكنين وهو من الافعال الناقصة واسمه مستتر عائد الى من او الى ضميره والانسلال مضاف اليه (وحاصل معنى البيت) ان من ينوى اى يعزم بقلبه الردة والرجوع عن الاسلام او على الكفر ولو بعد مدة طويلة او قصيرة يخرج بذلك العزم عن دين الاسلام فى الحال سواء فعل ما نواه بعد ذلك اولا لان قصد الكفر يزيل التصديق وبزواله يصير منافقا والمنافق كافر باطنا فان فعل ما قصد صار كافرا ظاهرًا وباطنا ولانه رضى بالكفر فى الحال والرضا به كفر فى الحال والمآل ثم الرضاء بكفر نفسه كفر اجماعًا وانما الخلاف فى الرضاء بكفر غيره لقصد غيره لا لاستحسان الكفر فى نفسه والا يكون كافرا ايضا اجماعا ولذا قالوا الكافر بطول البقاء ونحوه ان قصد استدامة كفره يكفر لانه يكون مستحسنا للكفر وان اراد يؤل امره الى الاسلام اولينتفع المسلمون بجزيته فلا واختلف فى الدعاء على الظالم بموته على الكفر بقصد ان يجازى بالخلود على ظلمه والصحيح عدم الجواز وحاصله ان قصد الكفر والرضاء به مطلقا كفر وهو غير معفو اجماعا وان كان هاذلا به لانه تعالى نهى العفو عن الشرك ايضا بقوله عز شانه اِنَّ اللّٰهَ لَايَغْفِرُ اَنْ يُشْرَكَ بِهٖ وَيَغْفِرُ مَا دُوْنَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَّشَاءُ وهذا بخلاف قصد المعصية والتصميم على فعلها فانها مرجوة العفو بوعده تعالى وان فعل لدخولها تحت قوله وَيَغْفِرُ مَا دُوْنَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَّشَاءُ فان لم يكن معها تصميم ولم يفعلها كتبت له حسنة كما قال عليه السلام فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وان هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات الى سبعمأة ضعف الى اضعاف كثيرة وان هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وان هم بها فعملها كتبها الله عنده سيئة واحدة وفى هذا رد على من زعم ان الحفظة انما تكتب ما ظهر من افعال العباد وسمع من اقوالهم محتجا بقوله عائشة رضى الله عنها لَاَنْ اَذْكُرَ اللّٰهَ فِىْ قَلْبِىْ مَرَّةً وَاحِدَةً اَحَبُّ اِلَيَّ مِنْ اَنْ

اذكره بلساني سبعين مرة ، وذلك ان ملكا لا يكتبها و بشرا لا يسمعها واجيب عنه بان ذلك ان صح عليها فهو محمول على انها قالته قبل اطلاعها على الكتب ثم اطلاع الملكين الموكلين بالعبد على كتب الهم بالقلب على معصية اوطاعة اما بكشف الله تعالى لهما على القلب و ما يحدث فيه كما يقع لبعض الاولياء وأما باعلام الله تعالى اياهما بذلك ويؤيده ما وقع في حديث ابن عمر رضي الله عنهما فينادي الملك اكتب لفلان كذا وكذا فيقول يارب انه لم يعمل فيقول انه نواه وأما بريح يظهر لهما من القلب فريح الحسنة طيبة وريح السيئة خبيثه تمتازبها و علم بقوله بعد دهر انه لو نوى الارتداد في الحال يصير كافرا في الحال بالاولى ويحتمل كلامه معنى وهو ان من دام على الايمان دهرا طويلا مع احسان العمل ثم بعد ذلك نوى الردة عزم يخرج عن الايمان في الحال و يبطل جميع ما قدمه من الخير لكن المعنى الاول ابلغ والمراد بالنية العزم والتصميم كما قدمنا لان مجرد الخطور بالبال غير معتبر اتفاقا لان ذلك ليس في وسع العبد لا يكلف الله نفسا الا وسعها فلوخطر له مع كراهته وخوف اظهاره بلسانه او فعله كان مثابا لانه عين الايمان ما دام مصمما على التصديق وقد قال عليه السلام ان الله تجاوز لامتي عما وسوست به نفوسها ما لم تعمل به اوتتكلم اذ الاحتراز عنه غير ممكن بخلاف العزم والتصميم فان الاحتراز عنه ممكن ولذا كان عزمه على الكفر ولوبعد سنين يخرجه عن الايمان في الحال فان قلت في حديث رواه مسلم والاثم ما حاك في النفس وكرهت ان يطلع عليه الناس قلنا معناه ان كل ما حاك في النفس واستكرهته كان اثما عند وقوعه لان النفس بطبعها تحب اطلاع الناس على خيرها وتكره ضد ذلك ولكن قالوا الهم بالمعصية الذي لا يؤاخذ به شرطه ان لا يصر عليه والا فهو به اثم وان تكلم اللسان بخلافه حتى ان الله تعالى يلقي في قلوب الناس ما اضمره كما روى محمد بن داود قال حدثنا محمد بن جعفر عن ابراهيم النخعي قال ان الرجل ليتكلم بالكلام وفي كلامه المقت ولكنه ينوي به الخير فيلقي الله تعالى في قلوب الناس الاعتذار عنه حتى يقولوا ما اراد بقوله هذا الاخيرا وان الرجل ليتكلم بكلام حسن لا ينوي به الخير فيلقي الله تعالى في قلوبهم حتى يقولوا ما اراد بقوله هذا الا شرا فعلم به ان العبرة لما في القلب وان الوسوسة ساقطة الاعتبار وان الجزم والتصميم هو المعتبر ولذا شرط ذلك في الايمان بحيث لا يخالطه شئ ينافيه اذ لوكان معه تردد اوتشكيك لم تثبت

حقيقة

حقيقة على ماقد منا اذا علم هذا فلا يتصور ان يقال انا مؤمن ان شاء الله على وجه الشك لا في الحال ولا في المآل اتفاقا واما على وجه التبرك فجوزه الشافعي رحمه الله ومنعه ابوحنيفة مطلقا لان وضع هذه الكلمة على التشكيك ولذا اجمعا على انها تبطل اليمين والطلاق والعتاق والبيع والاقرار ونحو ذلك وقيد بنية الارتداد لان الكافر اذا عزم على ان يؤمن في الحال والمآل لايخرج بذلك عن الكفر فلا يجتمع مع الايمان اذ الضدان لايجتمعان والحمد لله الكريم المنان قال الناظم رحمه الله

٤٦ وَلَفْظُ الْكُفْرِ مِنْ غَيْرِ اعْتِقَادٍ بِطَوْعٍ رَدُّ دِيْنٍ بِاغْتِفَالِ

المراد باللفظ التلفظ بما يوجب الكفر عن طوع واختيار كنفي الصانع او الرسل او احدهم او تكذيب رسول او شتمه او تحليل محرم اجماعا او عكسه او نحو ذلك مما هو معلوم من الدين بالضرورة والطوع الاختيار ضد الاكراه واحترز به عنه كما سيأتي والاغتفال افتعال من الغفل بالضم وهو انعدام الشئ وانطماس اثره يقال ارض غفل اى لا علم بها ولا اثر عمارة او من الغفل بفتح الغين بمعنى الترك يقال اغفلت الشئ اغفالا فلت عنه اذا تركته على ذكر وغفلت عنه اذا تركته عن ذهول الاعراب ولفظ مبتدأ مضاف الى الكفر من غير اعتقاد في محل نصب حال من الكفر اى حال كونه غير معتقد للتكلم لان المضاف عامل فيه او من لفظ الكفر او في محل جر صفة للكفر لانه في معنى النكرة او حال من الفاعل المفهوم من المقام اى حال كون اللافظ غير معتقد والباء في قوله بطوع بمعنى مع متعلق بلفظ في محل نصب حال من الفاعل وقوله رد بالرفع خبر المبتدأ مضاف الى دين من اضافة المصدر الى مفعوله وقوله باغتفال متعلق برد والباء للملابسة .

(وحاصل معنى البيت) ان من اجرى كلمة كفر على لسانه حال كون الكفر غير معتقد له او حال كونه غير معتقد للكفر وحال كونه طائعا مختارا يصير مرتدا بذلك عن الاسلام تاركا للدين عن اصله او مع غفلته عن كونه صار مرتدا خارجا عن دين الاسلام ودائرة الاحكام لزعمه عدم كفره بعد اعتقاده الكفر وهذا ما عليه ائمة بخارى وسمرقند وعليه الفتوى كما قال الشارح الحنفي فعلم ان القيود ثلاثة ان لا يعتقد الكفر وان لايكون مكرها عليه وان يكون غافلا عن كون ذلك اللفظ مكفرا وقيل ان الفتوى على انه لا يكفر والجهل عذر واستظهره

بعض المشايخ لان الجهل غالب فى اكثر العوام بحيث لا يميزون بين الالفاظ المكفرة وغيرها فيلزم عليه تكفير كثير من المسلمين ولو اعتقد مع ذلك الكفر يكفر اتفاقا ولو كان يعلم ان ذلك اللفظ مكفر فتلفظ به عمدا عن طوع من غير اعتقاد غير حاك له عن غيره يكفر ايضا فتحصل المسئلة باربعة اوجه يكفر فى صورتين ولا يكفر فى صورة والخلاف فى صورة المتن وقد علمت ما فيها وبقى وجه خامس وهو ما اذا سبق لسانه غلطا الى كلمة كفر فانه لا يكفر بخلاف الطلاق والعتاق وسادس وهو ما اذا نقله على لسان غيره كقوله : النصارى يقولون المسيح ابن الله فلا يكفر اتفاقا ثم الاكراه المبيح للتلفظ به لا بد ان يكون بما يزيل الرضاء بان لا يكون بنحو قتل او قطع عضو او ضرب يخاف منه تلف النفس مع اطمئنان قلبه بالايمان كما وقع لعمار بن ياسر رضى الله عنه حين اسره المشركون ولم يخلوا سبيله حتى تكلم بالنبى صلى الله عليه وسلم فحين جائه قال له صلى الله عليه وسلم ما تركت وراءك قال شرا يا رسول الله ثم اخبره بذلك فقال عليه السلام كيف وجدت قلبك قال مطمئنا بالايمان فقال عليه السلام ان عادوا فعد قيل اى فعد الى التكلم مع الاطمئنان وقيل الى الاطمئنان وفيه نزل قوله تعالى اِلَّا مَنْ اُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْاِيمَانِ الآية وان صبر على القتل كان ماجورًا كما روى ان خُبَيْبًا رضى الله عنه صبر على القتل حتى صلب فسماه النبى صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء ولو اكره بقيد او حبس او اخذ مال او ضرب قيل لا يخاف منه تلف نفس او عضو لا يباح له ذلك قال على قارى رحمه الله ثم من فروع الارتداد انه تبطل اعماله الصالحه وتقع الفرقة بينه وبين امرأته ولو جدد الايمان خلافا للشافعى لانه لا يبطلها الا بالموت على الكفر وعندنا تعود اعماله السابقة لكن قالوا تعود بلا ثواب ويجب عليه حجة الاسلام لان وقت الحج ممتد الى آخر العمر وكذا لو اسلم فى آخر وقت صلاة ارتد فى اوله بعد ادائها يجب اعادتها لبقاء الوقت وامكان التدارك وأما الصلوات ونحوها الواقعة فى ايام الارتداد فلا يجب قضائها قال شيخنا اقول وكذا يبطل وقفه وروايته للحديث فيجب اعادة وقفه بعد الاسلام كما صرح بذلك فى كتب الفروع انتهى والالفاظ المكفرة وغير المكفرة والمختلف فيها مذكورة فى المطولات وقد بالغ فى ذلك صاحب البزازية وقال ان الرجل ليتكلم بالكلمة فيهوى بها فى النار فهو لا يدرى فينبغى للمسلم ان يتحرز فى كلامه عن سقطات اللسان واذا طغى لسانه من غير قصد ينبغى ان يحمل على وجه حسن ولو رواية ضعيفة لئلا يلزم عليه تكفير

كثير من

كثير من المسلمين قال ابن نجيم[1] وقد آليت على نفسى ان لا افتى بتكفير مسلم فى كفره خلاف ولو رواية ضعيفة والله الموفق والمرشد قال الناظم رحمه الله

٤٧ وَلَا يُحْكَمْ بِكُفْرٍ حَالَ سُكْرٍ ... بِمَا يَهْذِى وَيَلْغُو بِارْتِجَالِ

هذا البيت يشبه ان يكون تفريعا على البيت السابق اذ لا اعتقاد ولا طواعية مع حقيقة السكر ويهذى بالذال المعجمة مضارع هذى اذا تكلم بكلام لا معنى له من غير روية يقال هذى فى منطقه يهذى هذيا وهذيانا اذا تكلم بغير معقول لمرض اوغيره ويلغو مضارع لغا فى كلامه اذا تكلم بكلام لا فائدة فيه او باطلا من غير قصد فهو اخص من الهذيان ويقال كلام ملغى اى مطروح من اَلْغَيْتُه اذا طرحتَه ومنه يمين اللغو التى لا ينعقد عليها القلب ولا يترتب عليها حكم قال تعا لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللّٰهُ بِاللَّغْوِ فِيٓ اَيْمَانِكُمْ وهو المراد هنا والارتجال مصدر ارتجل اذا تكلم بكلام بسرعة من غير تفكر وتأمل الاعراب لا ناهية ونحكم بالنون اوالتاء على البناء للفاعل او بالياء بالبناء للمفعول مضارع حكم مجزوم بلاء الناهية بكفر متعلق به وحال منصوب على الظرفية مضاف الى سكر بما الباء للسببية متعلقة بكفر اوبسكر وما مصدرية او نكرة موصوفة ويلغو عطف على يهذى وفاعلهما مستتر يعود الى السكران المفهوم من السكر والعائد محذوف اى به او فاعل يلغو محذوف على انه مستأنف اى ويلغو كفره دل عليه قوله بكفر وقوله بارتجال تنازع فيه الفعلان او متعلق بيلغو فقط (وحاصل معنى البيت) انا لا نحكم بكفر السكران بسبب تكلمه حال سكره بما يهذى ويلغو به من الالفاظ المكفرة من غير قصد وتفكر فيما يقول اولا نحكم بكفره بما تكلم به من كلمات الكفر بما يهذى به من المسكرات او ويلغو كفره فى الحال ولا يعتبر ثم اعلم ان كلام المصنف مجمل يحتاج تفصيله الى مقدمتين الاولى فى سبب السكر وقد قالوا انه على نوعين الاول ما يكون بطريق مباح كشرب الدواء والسكر والبنج ومايتخذ من الحبوب والعسل ونحوه فهذا لا يقع طلاقه ولا عتاقه ولا تنعقد لانه ليس من جنس اللهو فصار كالمريض النوع الثانى السكر بطريق محظور كشرب الخمر ونحوه ومنه العرق لانه من اجزاء الخمر ونجاسته مغلظة فهذا لا ينافى الخطاب ببطلان اهليته وتلزمه الاحكام وتنفذ تصرفاته كلها تغليظا عليه لا الردة فلا يحكم بها عليه استحسانا لانها تتوقف على القصد وغيرها

(١) ابن نجيم زين العابدين الحنفي المصري توفي سنة ٩٧٠ هـ [١٥٦٢ م.]

من التصرفات كالطلاق والعتاق يتعلق بالالفاظ واذا لم يحكم عليه بالردة في هذا ففي النوع الاول بالاولى ولذا اطلقه المص رحمه الله والاصل فيه ماروى ان صحابيا أمّ قوما في صلاة المغرب وهو سكران قبل تحريم الخمر فقرأ قُلْ يَاأَيُّهَا الكَافِرُونَ لَاأَعْبُدُ مَاتَعْبُدُونَ الى آخرها وترك كلمة لا وبتركها يكفر المؤمن العاقل الصاحي مع ان الله تعالى خاطبه بلفظ المؤمن في قوله يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتَقْرَبُوا الصَّلٰوةَ وَأَنْتُمْ سُكَارٰى حَتّٰى تَعْلَمُوا مَاتَقُولُونَ الآية فصار ذلك سببا في تحريم السكر ثم حرمت مطلقا والثانية في حد السكر وحده عند ابي حنيفه رحمه الله ان يصير بحال لا يعرف الرجل من المرأة ولا الارض من السماء وقيل ان تختل مشيته وقيل ان يختلط كلامه وقيل غير ذلك وحاصله ان المراد ان يصير بحال لا يعني مايقول ولا يفرق بين الخير والشر فان فرق يحكم بكفره اتفاقا والله اعلم واحكم قال الناظم رحمه الله

٤٨ وَمَاالْمَعْدُومُ مَرْئِيًّاوَشَيْئًا لِفِقْهٍ لَاحَ فِي يُمْنِ الْهِلَالِ

المعدوم خلاف الموجود يشتمل المستحيل والجائز والمرئ اسم مفعول من رأيت الشئ فهو مرئ من الرؤية البصرية واراد بالفقه الفهم وباليمن البركة والهلال في الاصل رفع الصوت ثم سمي به القمر لليلتين من اول الشهر وليلتين من آخره وقيل لثلاث من اوله ثم يسمى قمراً بقية الشهر وقيل هو هلال حتى يبهر بضوئه السماء وذلك لليلة سبع ويمنه في اوائله لان اواخره ادبار وقيل اراد بيمنه لياليه البيض وهي ليلة الثالثة عشر والرابعة عشر والخامسة عشر وهو مناسب هنا لان المراد شدة ظهوره وهو في هذا أظهر اذ المعنى على التشبيه اوالاستعارة كمالايخفى الاعراب ما بمعنى ليس المعدوم اسمها مرئيا خبرها وشيئا معطوف على مرئيا لفقه اللام تعليلية وفقه مجرور بها في محل رفع خبر مبتدء محذوف اي وذلك لفقه لاح ماض بمعنى ظهر وفاعله مستتر يعود على فقه والظرف متعلق به ويمن مضاف والهلال مضاف اليه وجملة لاح ومتعلقه في محل جر صفة فقه (وحاصل معنى البيت) ان المعدوم ليس مرئيا لله تعالى ولا يطلق عليه شئ اذ الشئ هو الموجود والمعدوم ضده وذلك لظهور العلم بذلك ظهوراً بينا واشتهاره عند ارباب العقول كظهور الهلال المبارك للناظرين وارتفاعه ليلة كماله بحيث لايخفى الاعلى من اعمى الله بصره وبصيرته اذ الرؤية انما تتعلق بالموجود والمعدوم ضده

ليس بشئ

ليس بشئ قال تعا وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً قال في المقاصد وهذا ماذهب اليه اهل الحق من ان المعدوم ليس بشئ وانما هو نفي محض وفيه الرد على المعتزلة القائلين ان المعدوم شئ مستدلين بقوله تعا اِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ فقد اطلق عليها اسم الشئ مع انها الآن معدومة والجواب ان معناه ان زلزلة الساعة يكون شيئا عظيما عند وجوده وما اخبر به تعا انه سيكون فهو كالكائن فصح الاطلاق ثم اعلم ان المعدوم على نوعين معدوم ممتنع الرؤية وهو مايكون وجوده محالا وعدمه واجبا كشريك البارى تعا وكاجتماع الضدين والثانى المعدوم البسيط الممكن الوجود والعدم فالرؤية لا تتعلق بالنوع الاول ولا يطلق عليه اسم الشئ اتفاقا والخلاف في النوع الثانى قبل وجوده فعند اهل السنة لا تتعلق به الرؤية ولا يسمى شيئا لان علة الرؤية والتسمية الوجود وهو منتف اذ الشئ هو الموجود وكل موجود شئ كما هو مذهب الاشعرى ايضا وتمامه في شرح المواقف من الخاتمة وقال وفيه الحال وهو الواسطة بين الموجود والمعدوم اثبته امام الحرمين وابو هاشم وبطلانه ضرورى ثم نقل التوفيق والله اعلم قال الناظم رح

٤٩ وَغَيْرَانِ الْمُكَوَّنُ لَا كَشَيْءٍ مَعَ التَّكْوِينِ خُذْهُ لِاكْتِحَالِ

غيران مثنى غير والمكوّن بفتح الواو المشددة اسم مفعول من التكوين والتكوين مصدر من كوّن بتشديد الواو وقد اثبته علماؤنا صفة لله تعا زائدة على القدرة والارادة وقالوا بقدمه وفسروه بانه صفة حقيقية وهى مبدأ الاضافية (الصفة) التى هى اخراج المعدوم الى الوجود لا عينها لان نفس الاخراج وصف اضافى في حادث وقديم والمكون هو الشئ الحاصل بالتكوين فهما متغايران الاعراب غيران خبر مقدم والمكون مع التكوين مبتدأ مؤخر وفصل بينهما بالجملة المحذوفة المبتدأ الواقعة صفة لغيران او تاكيد له او خبر بعد خبر اى لاهما كشئ واحد على ما فيه من التسامح في التركيب لضرورة الوزن ولا يصح ان يقدر ذلك المبتدأ مفردا راجعا للمكون اى لا هو كشئ ويتنازع مع المكون في مع التكوين كما لا يخفى وخذه فعل امر والهاء مفعوله راجع لمقدر اى خذ هذا الكلام او هذا التقرير او نحو ذلك ولاكتحال متعلق بخذ واسقطت همزته تخفيفا (وحاصل معنى البيت) ان المكون والتكوين متغايران لا هما متحدان كشئ واحد فاحتفل بهذا الكلام فانه يجلو البصيرة كما

اى احسن القيام به

يجلو الكحل البصر لان التكوين الايجاد والمكون هو الشيء الذى يوجد بالتكوين وهما متغايران اذ الفعل غير المفعول والسبب غير المسبب وذهبت المعتزلة الى انهما شيء واحد ونسب ايضا الى الاشعرى لكن المحقق التفتازانى[1] والشارح الشافعى ردا نسبة ذلك على ظاهره اليه وحملا كلامه على محمل صحيح قال المحقق رحمه الله من قال ان التكوين عين المكون اراد ان الفاعل اذا فعل شيئا فليس ههنا الا الفاعل والمفعول واما المعبر عنه بالتكوين فهو امر اعتبارى يحصل فى العقل من نسبة الفاعل الى المفعول وهو ليس امرا محققا مغايرا للمفعول فى الخارج ولم يرد ان مفهوم التكوين هو بعينه مفهوم المكون وهذا خلاصة كلامه فى شرح المقاصد والعقائد ونقله على قارى لكن مقتضى ما فى الطوالع ان الخلف حقيقى قال البحث الخامس فى التكوين قال الحنفية التكوين صفة قديمة مغايرة للقدرة فان متعلق القدرة قد لا يوجد اصلا بخلاف متعلق التكوين والقدرة تتعلق بامكان الشيء والتكوين بوجوده قلت الامكان بالذات فلا يكون بالغير والتكوين هو التعلق الحالى ولذا يترتب عليه الوجود كما قال الله تعالى اِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ اِذَا اَرَدْنَاهُ اَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ انتهى فبعد قوله والتكوين هو التعلق الحالى كيف يمكن التوفيق فتدبر وبالله التوفيق والاظهر الموافق لمذهبنا ما قاله فى العقائد وشرحه قال ولما استدل القائلون بحدوث التكوين بانه لا يتصور بدون المكون كالضرب بدون المضروب ولو كان قديما لزم قدم المكونات وهو محال اشار الى الجواب بقوله وهو اى التكوين هو تكوينه تعالى للعالم ولكل جزء من اجزائه لوقت وجوده على حسب علمه وارادته فالتكوين باق ازلا وابدا والمكون حادث بحدوث المتعلق كما فى العلم والقدرة وغيرهما من الصفات القديمة التى لا يلزم من قدمها قدم متعلقاتها لكون متعلقاتها حادثة وهذا تحقيق ما يقال ان وجود العالم ان لم يتعلق بذات الله تعالى وصفة من صفاته لزم تعطل الصانع واستغناء تحقق الحوادث عن الموجد وهو محال وان تعلق فاما ان يستلزم ذلك قدم ما يتعلق وجوده به فيلزم قدم العالم فهو باطل فليكن التكوين ايضا قديما مع حدوث المكون المتعلق به فافهم والله اعلم قال الناظم رحمه الله تعالى

٥٠ وَاِنَّ السُّحْتَ رِزْقٌ مِثْلَ حِلٍّ وَاِنْ يَكْرَهْ مَقَالِى كُلُّ قَالِ

السحت بضمتين وبسكون الثانى ايضا وهو الاكثر هو الحرام الذى لا يحل كسبه ولا الانتفاع

(١) سعد الدين التفتازاني مسعود الشافعي توفي سنة ٧٩٢ هـ [١٣٨٩ م.] في سمرقند

به سمى به لانه يسحت البركة اى يذهبها والرزق بكسر الراء بمعنى الشئ المرزوق الذى قدره الله تعالى للحيوان مدة حياته واراد بالحل المقابل للسحت والمقال مصدر ميمى بمعنى القول والمراد المقول والقالى اسم فاعل اى المبغض من القِلا بالكسر هو البغض او الترك والهجر واراد بهم المعتزلة يعنى ان الحرام عندنا يعدّ من الرزق كالحلال لان الرزق اسم لما يسوقه الله تعالى الى الحيوان لينتفع به وذلك قد يكون حلالاً وقد يكون حراماً وهذا اولى من تفسيره بما يتغذى به الحيوان لخلوه عن معنى الاضافة الى الله تعالى مع انه معتبر فى مفهوم الرزق وعند المعتزلة الحرام ليس برزق لانهم فسروه تارة بمملوك ياكله المالك وتارة بمالا يمنع من الانتفاع به وذلك لايكون الاحلالا ويلزمهم على الاول ان لايكون ما ياكله الدواب رزقا وعلى الوجهين ان من اكل الحرام طول عمره لم يرزقه الله تعالى اصلا وفساده ظاهر ومبنى هذا الاختلاف على ان الاضافة الى الله تعالى معتبرة فى معنى الرزق وانه لا رازق سواه تعالى وان العبد يستحق الذم والعقاب على اكل الحرام ولايستحق ذلك الا على ارتكاب القبيح ومايكون مسندا الى الله لايكون قبيحا ومرتكبه لا يستحق الذم والعقاب والجواب ان استحقاق ذلك لسوء مباشرته اسبابه باختياره وخالق المليح والقبيح هو الله لاسواه ثم اعلم ان الحرام وان كان عندنا رزقا الا انه اضر مايكون على آكله فى دنياه وآخرته ولذا سماه الله تعالى خبيثا بقوله وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وقال صلى الله عليه وسلم من اكتسب مالاً من حرام فانفق منه ووَصَل رَحِمَهُ كان ذلك اضرارا عليه اخرجه الحاكم وابن حبان، واخرج احمد عن ابن عمر رضى الله عنهما من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفيها درهم من حرام لم يقبل الله عزوجل صلاته مادام عليه ثم ادخل اصبعيه فى اذنيه وقال صمتا ان لم اكن سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله وعن ابن عباس رضى الله عنهما من اكل لقمة من حرام لم يقبل الله عمله اربعين صباحا ومن اكتسب مالا من حرام فان تصدق به لم يقبل منه وان خلفه من بعده كان دليله الى النار ومن اكل الحلال اربعين صباحا نورالله قلبه واجرى ينابيع الحكمة على لسانه ومن سعى على عياله من حل كان كالمجاهد فى سبيل الله وفى الحديث من حج بمال حرام فقال لبيك قال الله تعالى لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك واخرج ابن سعد[١] عن عمر بن عبد العزيز انه قال يوما قداكلت الليلة حمصا وعدسا فنفخنى فقال له بعض القوم يا امير المؤمنين ان الله تعالى يقول كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ فقال عمر هيهات هيهات ذهبت به الى غير مذهبه انما

(١) ابن سعد محمد البصري توفي سنة ٢٣٠ هـ [٨٤٢ م.]

يريد به طيب الكسب ولا يريد به طيب الطعام الاعراب ان هنا بكسر الهمزة على الظاهر والسحت اسمها ورزق خبرها ومثل صفة رزق مضاف الى حل اى مماثلا للحل وان وصلية على الاظهر اى اقول ذلك وان يكره الى آه ويحتمل ان يكون شرطية بحذف جواب الشرط والتقدير وان يكره اقل ذلك وعلى كل فيكره مجزوم بها ومقالى مفعول مقدم ويحتمل الوزن فتح يائه وتسكينها وكل فاعل مؤخر مضاف الى قال والكلية حقيقية او اضافية.

(وحاصل معنى البيت) ان الحرام عندنا رزق كما ان الحلال رزق لانه ما يسوقه الله تعا الى الحيوانات لينتفع به حلالا كان اوحراما وان كان ضررا عليه لانه تعا لا يجب عليه فعل الاصلح للعبد والخير والشر كله بيده يفعل مايشاء ويحكم مايريد كما قدمنا وهو المبنى عليه زعم المعتزلة من ان الحرام ليس برزق للانسان وانه قبيح والقبيح لا ينسب اليه تعا كما قدمنا قال شارح والاختلاف فيه بناء على ان الرزق عندنا هو الغذاء المقدر للحى المتغذى فما قدره الله تعا ان يكون غذاء الحيوان معين لا يصير غذاء لغيره سواء ملكه او لم يملكه وعندهم الرزق اسم للملك تمسكا بقوله تعا ومما رزقناهم ينفقون اى مما ملكناهم قلنا الرزق هنا مفسر بالتقدير من الغذاء وهو غير التمليك وما ذكروه فيه من ان الاصلح للعبد ان يقدر له من الحلال دون الحرام والا لكان ظلما ممنوع بما قدمنا من انه لا ايجاب عليه تعا والا لكان فوقه موجب وهو باطل وايضا لوكان الرزق هو الملك لما رزق الدواب لانتفاء اهلية التملك وكذا المماليك عندنا لكن الكل مرزوقون عندنا بقوله تعا وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا قال الناظم رحمه الله

---

٥١ وَدُنْيَانَا حَدِيثٌ وَالْهَيُولَى عَدِيمُ الْكَوْنِ فَاسْمَعْ بِاجْتِذَالِ

الدنيا بضم الدال على الاشهر وزنها فعلى مقصورة كحبلى غير منونة اذ هى غير منصرفة للوصفية ولزوم الف التانيث وحكى فيها كسر الدال سميت لسبقها الدار الآخرة وقربها منها من الدنو وهو القرب او لدنوها من الزوال ولدنائتها من الدنائة اى الخسة وفى حقيقتها قولان للمتكلمين احدهما انها الارض مع الهوى والجو والثانى جميع المخلوقات من الجواهر والاعراض الموجودة قبل الآخرة ورجح الثانى وهو المناسب ههنا وهى بما فيها حادثة عند اهل السنة والجماعة

فزع

فرع كثير من القرآن مشتمل على ذم الدنيا و صرف الخلق عنها و دعوتهم الى الآخرة بل هذا هو المقصود بالذات من بيان الشرايع كيف لا وهى عدوة الله تعا لقطعها طريق الوصلة اليه و عدوة اولياءه لتزينها لهم بزينتها حتى تجرعوا مرارة الصبر فى مقاطعتها و عدوة لاعدائه لاستدراجها لهم حتى خذلتهم وصح انه عليه افضل الصلاة والسلام رأى شاة ميتة فقال والذى نفسى بيده الدنيا اهون على الله تعا من هذه الشاة على اهلها ولو كانت تعدل عند الله جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء وفى الخبر الحسن : الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالم ومتعلم وصح ان ابا بكر رضى الله عنه دعا بشراب وعسل فلما جئ به بكى حتى بكى اصحابه فسئلوه عن ذلك فقال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرايته يدفع عن نفسه شيئا ولم ار معه احدا فقلت يارسول الله ماالذى تدفع عن نفسك فقال هذه الدنيا مثلت لى فقلت اليكِ عنى فرجعَتْ ثم قالت انك افلتَّ منى لم يفلت منى من بعدك وصح من جملة الحديث المشهور فوالله ما الفقر اخشى عليكم ولكن اخشى عليكم ان تسلط عليكم الدنيا كما سلطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما اهلكتهم وقد منا ايضا والحديث ضد القديم ومعنى الهيولى عند القائلين بها وهم الفلاسفة والدهرية طينة العالم وهيولى الشئ مادته التى يتخذ منها كالخشبة يتخذ منها السرير والباب ونحوهما وكالحنطة يتخذ منها الخبز ونحوه وهم اختلفوا فى الطينة فمنهم من قال هى الطبايع الاربع : الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة واصل العالم هذه الاربع وهى عندهم قديمة ومنهم من قال هى الاستقصات وهى الماء والتراب والنار والهواء وهى قديمة عندهم وحاصله انهم قائلون بقدم الممكنات كالهيولى يزعمون انه محتاج الى العقل الاول صادر عنه دائم بدوامه قديم بقدمه وهو ظاهر البطلان لان العالم على زعمهم مركب من الهيولى والهيولى قديم فيلزم قدم العالم والاجسام والصور ونفى حشر الاجساد كما قدمنا وسنبين ايضا وجه فساده وقوله باجتذال بالجيم والذال المعجمة الفرح اى فاسمع مقالى ملتبسا بالفرح والسرور بسماع هذا الحق الاعراب دنيانا مبتدأ وحديث خبره وفعيل يستوى فيه المذكر والمؤنث او المعنى مخلوق حديث والهيولى مبتدأ وعديم الكون خبره وقال بعض الناس الهيولى معطوف على دنيانا

وحديث خبر عنهما و فيه نظر من جهة المعنى و الاعراب كما لا يخفى على اولى الالباب (وحاصل معنى البيت) ان الدنيا و ما فيها بجميع اجزائها محدثة فانه تعا احدث هذا العالم بعد ان كان معدوما و اوجده بعد ان لم يكن شيئا مذكوراً على وفق ما سبق فى علمه الازلى من غير توقف قدرته على مادة وابداعه على استفادة فائدة والقول بكون الهيولى اصل العالم و مادة بنى آدم من العناصر الاربعة او غيرها و انه قديم فى الكون قول قديم و فهم سقيم مخالف للادلة النقلية والعقلية قال تعا وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ولانه يلزم ان تتوقف قدرته تعا وايجاده على مادة فيلزم العجز و ينتفى وصفه بالبديع اى المبدئ و يلزم قدم العالم وكل ذلك ظاهر البطلان كما يدل عليه ظاهر من القرآن قال الله تعا بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۞ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۞ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ الى غير ذلك من الآيات وفى الحديث القدسى «كنت كنزاً مخفيا فاردت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف» واظهر منه بطلانا واقوى فسادا قول القدرية : ان بعض العالم مخلوق للعبد وهذا هو الشرك الظاهر وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام القدرية والجبرية مجوس هذه الامة فانهم يضيفون الخيرات الى الله تعالى والشرور الى العبد وقد قال تعا كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ قال الناظم رحمه الله تعالى

٥٢ وَلِلْجَنَّاتِ وَالنِّيرَانِ كَوْنٌ عَلَيْهَا مَرَّ اَحْوَالٌ خَوَالِ

الجنات جمع جنة وهى فى الاصل اسم للبستان والمراد بها ههنا التى اعدها الله تعا لنعم عباده المؤمنين فى الآخرة والنيران جمع نار والمراد بها جهنم التى اعدت لعذاب الكافرين واراد بالكون الوجود اى لها وجود الآن والاحوال جمع حول بمعنى السنين اى مر عليها سنين كثيرة اوجمع حال اى مر عليها احوال كثيرة من احوال العالم والخوالى جمع خالية اى الماضية والقرون الخالية اى الماضية يعنى انه مما يجب اعتقاده ان الجنة حق والنار حق وانهما مخلوقتان موجودتان الآن وقد مر عليها ازمان كثيرة واحوال عديدة قال تعا : وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ الآية والنصوص الظاهرة فى اعدادهما مثل أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ولاضرورة فى العدول عن الحقيقة وفيه اشارة الى الرد على المعتزلة فى انكارهما الآن وانهما يخلقان يوم الجزاء لعدم الاحتياج اليهما الآن (وجودهما)

واحتجوا

واحتجوا بمثل قوله تعا تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا والجواب بان هذا يحتمل الحال والاستقبال وقصة آدم عليه السلام نص فى الوقوع فبقيت مبتدأ سالمة عن المعارض على ان معنى نجعلها يحتمل ان يكون نخصها بهم كما يقال اجعل هذا لزيد وهذا لعمرو اى اخص به فلا ينافى وجودهما الآن وقولهم لو كانتا موجودتين الآن لما جاز هلاك اكل الجنة لقوله تعالى أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا لكن اللازم باطل لقوله تعالى كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ مردود خبر لانه نقول لاخفاء فى انه لا يمكن دوام اكل الجنة بعينه والا فكيف يصح التنعم فى الآخرة وانما المراد بدوامه انه اذا فنى منه شئ جئ ببدله وهذا لا ينافى الهلاك لحظة وقد منا بقية الكلام فى ذلك الاعراب للجنات خبر مقدم والنيران معطوف عليه وكون مبتدأ مؤخر ومر فعل ماض وفاعله احوال وعليها متعلق به ويحتمل ان يكون مصدرا مرفوعا بالابتداء مضافا الى احوال وعليها فى محل رفع خبر قدم عليه وخوال صفة احوال على كل حال (وحاصل معنى البيت) ان معتقد اهل السنة ان للجنات والنيران وجود الآن وثبوت وفيما يقابله من الازمان كما يستفاد من صريح القرآن خلافا لما تزعمه المعتزلة من نفى وجودهما الآن او نفيهما بالكلية قال القاضى ذهب جمهور الامة الى ان الجنة مخلوقة والدليل عليه الكتاب والسنة واجماع الامة وقال العلامة السيوطى[1] فى كتابه المسمى بشرح الصدور وقد ثبت بالادلة ان الجنة فوق السماء السابعة وان النار تحت الارض السابعة وعن مجاهد انه قال السجين صخرة تحت الارض السابعة فى جهنم جعل كتاب الفجار فيها والله اعلم قال الناظم رحمه الله تعالى

٥٣ وَلِلدَّعَوَاتِ تَأْثِيرٌ بَلِيغٌ ... وَقَدْ يَنْفِيهِ أَصْحَابُ الضَّلَالِ

يعنى ان معتقد اهل السنة ان للدعوات تأثيرا اى فائدة لنفس الداعى ولغيره بدعائه من حى او ميت باجابة الله تعا وكذا للصدقات وفعل الخيرات لكل ذلك نفع بامر الله تعا كما هو صريح الكتاب والسنة وعليه اجماع الامة قال تعا ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ وقال أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ وغير ذلك من الآيات وقال عليه السلام يستجاب دعاء العبد ما لم يدع باثم اوقطيعة رحم وقال ان ربكم كريم يستحى من عبده اذا رفع يديه اليه ان يردهما صفرا وقال فيما رواه ابن عباس رضى الله عنهما خمس دعوات لا ترد دعوة الحاج حتى يصدر

(١) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي توفي سنة ٩١١ هـ [١٥٠٥ م.] في مصر

وَدَعْوَةُ الْغَازِي حَتّى يَرجِعَ وَدَعْوَةُ المظلُومِ حَتّى ينتصِرَ ودَعْوةُ المرِيضِ حَتّى يُشفىٰ ودَعوةُ الأخِ لِاَخِيهِ بِظَهرِ الغَيبِ وَاسرَعُ هٰذِهِ الدَّعوَاتِ دَعوَةُ الاخِ لاخِيهِ بِالغيب . اخرجه الحافظ وصححه الطبرى وقال عليه السلام دعاءُ الاَحيَاءِ ينفَعُ الاَموَاتَ وقال عليه السلام اهدوا الى اَموَاتكم قالوا وما الهَدِيَّة يارسُولَ اللهِ قَالَ الدّعَاءُ والصَّدقة وقال تَصَدّقوا على موتاكم فانّ لله تعا وكُلّ مَلَائِكتهِ يحملُونَ صدقاتِ الاَحْيَاءِ اليهِم فيَفرَحُونَ بِهَا وَيقولُونَ اللّٰهُمَّ اغفِر لِمَن نَوَّر قُبُورَنَا وَبَشِّرهُ بِالجَنَّةِ كَمَا بَشَّرَنَا الحديث والاخبار فى ذلك كثيرة وعليه اجماع المسلمين وفى قوله وقد ينفيه اصحاب الضلال اشارة الى الرد على المعتزلة فى زعمهم انه لا تاثير للدعاء وان العبد لا ينتفع بعمل غيره ولا بدعائه وهو مردود بما ذكرنا وقوله تعا وَاَنْ لَيْسَ لِلْاِنْسَانِ اِلَّا مَا سَعىٰ اللام فيه بمعنى على او المعنى ليس له من عمل غيره شئ اذا لم يجعله له ثم اعلم ان تاثير الدعوات فى القضاء المعلق فان القضاء على نوعين معلق ومبرم فالقضاء المعلق يندفع بالدعاء بشروطه وهو الذى اشار اليه المص وكذا بالصدقات وفعل الخيرات والبر والاحسان وصلة الارحام ومبرم لازم الوقوع لما علمت من قواعدنا ان ما سبق فى علمه تعا من غير تعليق لا بد من وقوعه فهذا لا تغير ولا تبدل وانما يحصل بذلك الرفق والبركة فى العمر والتيسير وعلى هذا حمل كل ما ورد من نحو اَلصَّدَقَةُ تَدفَعُ البَلَاءَ وَتَزِيدُ فِى العُمرِ وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِى العُمرِ ونحو ذلك ثم ان للدعاء شروطا الزمها خلو جوف الداعى من الحرام لما فى حديث مسلم يَمُدُّ يَدَيهِ اِلَى السَّمَاءِ يَارَبِّ يَارَبِّ وَمَطعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِىَ بِالحَرَامِ فَاَنّىٰ يُستَجَابُ له اى كيف ومن اين يستجاب لمن هذه صفته وقبح ما فيه فهو ظاهر فى ان تناول الحرام مانع من اجابة الدعاء ومنها ان لا يدعو بحرام كان يدعو بالشر على غير مستحقه ولا بمحال ولو عادة فان الله تعا اجرى الامور على العادة فالدعاء بخرقها تحكم على القدرة القاضية بدوامها وذلك سوء ادب مع الله تعا قيل الا بالاسم الاعظم ومنها ان لا يكون فيما يسئل غرض فاسد كطلب مال للتفاخر وطول عمر لغير طاعة ومنها ان يكون على وجه الاختيار فانه سوء ظن بالله تعا وهو تعا على كل شئ قدير ومنها ان لا يستعظم حاجته وان يكون حاضر القلب وتكون الاجابة عنده اغلب من الرد لخبر ادعوا الله وانتم موقنون فان الله تعا لا يسمع دعاء من قلب غافل لاه ولخبر يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدى بى ومنها ان لا يشتغل به عن فرض ومنها ان لا يضجر

من تاخير

من تاخير اجابة فيقول كم ادعو فلم يستجب لى فانه سوء ادب مع الله تعالى وربما كان الخير فى التاخير بمقضى الحكم الالهى وان لا يدعو بدعاء مجهول اوينقله عن مجهول مالم يسئل عنه من اهل العلم ويأخذ من استاذ مع الضبط والاتقان بقدر الامكان وان يحترز عما يعد اسائة فى المخاطبات كجماع ونحوه وان يدعو باسماء الله الحسنى دون غيرها وان كا حقا كخالق الخنازير قيل وان لا يعلق بما هو شانه تعا كاللهم افعل بي ماانت اهله فى الدنيا والآخرة وروى ان ابراهيم بن ادهم[1] مر بسوق البصرة فاجتمع الناس عليه وقالوا يا ابا اسحاق مالنا ندعو فلا يستجاب لنا قال لان قلوبكم ماتت بعشرة اشياء الاول عرفتم الحق فلا تؤدوا حقه الثانى زعمتم انكم تحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركتم سنته الثالث قرأتم القران فلم تعملوا به الرابع اكلتم نعم الله تعا ولم تؤدوا شكر الله تعا الخامس قلتم ان الشيطان عدونا ولم تخالفوه السادس قلتم ان الجنة حق ولم تعملوا لها السابع قلتم ان النار حق ولم تهربوا منها الثامن قلتم ان الموت حق ولم تعدوا له التاسع انتبهتم من النوم فاشتغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم العاشر دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم ثم اعلم ان اجابة الدعاء ليست منحصرة بالاسعاف بالمطلوب بل هى حصول واحد من الثلاثة فى قوله عليه الصلاة والسلام مامن داع يدعو الا كان بين ثلاثة اما ان يستجاب له واما ان يدخر له يعنى افضل مما طلب واما ان يكفر عنه من ذنبه » وفى لفظ اويدفع عنه من السوء مثله الاعراب للدعوات فى محل رفع خبر مقدم وتاثير مبتدأ مؤخر وبليغ صفة تاثير والواو فى وقد للحال على الاظهر وقد حرف تحقيق ولا يحسن ان تجعل للتقليل باعتبار القائل بنفيه كما لايخفى وينفيه مضارع مرفوع بثبوت الياء والهاء فى محل نصب مفعول راجع الى التاثير واصحاب بالرفع فاعل ينفى مضاف الى الضلال (وحاصل معنى البيت) ان لدعوات المؤمنين تاثيرا بل يحصل فيه الرفق بليغا فى صرف اثر القضاء المعلق على الدعاء لا القضاء المبرم وزعم المعتزلة نفى تاثيره مردود بالكتاب والسنة واجماع الامة كما تقدم تتمة اختلف المشايخ فى انه هل يجوز ان يقال يستجاب دعاء الكافر فمنعه الجمهور لقوله تعا ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ ولانه لا يدعو الله تعا لانه غير عارف به لانه وان اقربه الا انه لما وصفه بما لا يليق به فقد نقض اقراره وما روى فى الحديث من ان دعوة المظلوم وان كان كافرا تستجاب، محمول على كفران النعمة

(١) ابراهيم بن ادهم من الاولياء الجشتية في الشام توفي سنة ١٦٢ هـ [٧٧٨ م.]

وجوز بعضهم لقوله تعا حكاية عن ابليس قَالَ رَبِّ اَنظِرْنِي اِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ فقال تعا اِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ فهذه اجابة واليه ذهب ابو القاسم الحكيم وابو نصر الدبوسي[1] وقال صدر الشهيد[2] وبه يفتى ولكن لا يخفى ما فى الاستدلال بالآية لاحتمال ان يكون ذلك اخبارا عما سبق فى العلم الازلى لا استجابة فالاولى ان يقتصر فى الاستدلال لهذا القول بالحديث ولا مقتضى لصرفه عن ظاهره فافهم . قال الناظم رحمه الله

٥٤ وَفِي الْاَجْدَاثِ عَنْ تَوْحِيدِ رَبِّي ۞ سَيُبْلَى كُلُّ شَخْصٍ بِالسُّؤَالِ

الاجداث بالجيم وفى آخره ثاء مثلثة جمع جدث بسكون الدال وقد تحرك ويجمع ايضا على اجدث بضم الدال على وزن افعل جمع قلة ايضا والمراد ههنا جمع الكثرة وهو مستفاد من اَلِ الاستغراقية يقال اجدث اذا اتخذ جدثا اى قبرا وقد تبدل ثاؤه فاء لغة فيه والمشهور الاول وبه ورد القرآن الكريم وسيبلى من البلاء بالفتح والمد لا من البلى بالكسر والقصر يعنى سؤال منكر ونكير فى القبر حق ثابت بالدلائل السمعية يبتلى به كل شخص فى قبره فيسئلان عن توحيد ربه ولو كان قبره البحر او الهواء اوجوف السباع او غيرها بعد رد روحه اليه وجلوسه قيل معتمدا على يديه مائلا الى قفاه فيجيب بما مات عليه من ايمان اوكفر وقد وردت الاحاديث بذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم كقوله اذا دُفِنَ الْمَيِّتُ فِى قَبْرِهِ اَتَاهُ مَلَكَانِ اَسْوَدَانِ اَزْرَقَا الْعَيْنَيْنِ وَهُمَا شَخْصَانِ مُهِيبَانِ مَعَهُمَا مِرْزَبَتَانِ يُقْعِدَانِ الْعَبْدَ فِى قَبْرِهِ وَيَسْئَلَانِهِ عَنْ ثَلَاثَةٍ مَنْ رَبُّكَ وَمَا دِينُكَ وَمَنْ نَبِيُّكَ فَاِذَا اَجَابَهُمَا وَسَّعَا فِى قَبْرِهِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا بِشَارَةً وَيَقُولَانِ لَهُ ثَبَّتَكَ اللّٰهُ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ثُمَّ قَرِيرَ الْعَيْنِ وَاِنْ كَانَ كَافِرًا يَقُولُ هَاهْ هَاهْ لَا اَدْرِي فَيَقُولَانِ لَهُ لَا دَرَيْتَ وَيَضْرِبَانِهِ بِمِرْزَبَةٍ يَسْمَعُهَا مَا بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ اِلَّا الْجِنَّ وَالْاِنْسَ فمن انكر سؤال القبر كان معتزليا او قدريا وظاهر كلام المص رحمه الله تعميم السؤال اذ الاصل فى كلمة كل استغراق افراد النكرة الداخلة هى عليها وهذا عند البعض من ان للانبياء والصبيان سؤالا قال السيد ابو شجاع ان للصبيان سؤالا وكذا للانبياء عند البعض وقد مناه مع زيادة لكن قال الكمال ابن الهمام فى مسايرته الاصح ان الانبياء لا يسئلون ولا اطفال المؤمنين واختلف فى اطفال المشركين ودخولهم الجنة او النار وتردد فيهم ابو حنيفة رحمه الله وغيره ووردت فيهم اخبار متعارضة فالسبيل تفويض امرهم الى الله تعا قال محمد بن الحسن رحمهما الله اعلم ان الله تعا لا يعذب احدا بلا ذنب انتهى واختلف

(١) ابو زيد عبيد الله الدبوسي الحنفي توفي سنة ٤٣٤ هـ [١٠٤٣ م.] في بخارى

(٢) صدر الشهيد حسام الدين عمر الحنفي توفي سنة ٥٣٦ هـ [١١٤٢ م.] في سمرقند

فی سؤال الجن فذهب بعض المتاخرین الی انهم یسئلون لعموم الادلة ولانهم مکلفون بالایمان والنبی صلی الله علیه وسلم مرسل الیهم ایضا علی الصحیح وکذا یاجوج وماجوج فی الصحیح لانهم کفار من بنی آدم وقد سئل عنهم علیه السلام هل بلغتهم دعوتك یارسول الله قال مررت بهم لیلة اسری بی فدعوتهم الی الاسلام فابوا فهم من اهل النار واما الملائکة فلا یسئلون ولایحاسبون علی الظاهر لانهم لاذنوب لهم وقیل یحاسبون وقد منا معناه وسیاتی بیانه ایضا وقیل ان الکافر الصریح یعذب من غیر سؤال بخلاف المنافق وقیل یسئل کل منهما وهوظاهر الحدیث المتقدم هذا وقد وردت الاحادیث فی عدة من المؤمنین انهم لایسئلون منهم الشهید والمرابط ولو یوما ولیلة فی سبیل الله تعالی ومن مات یوم الجمعة ولیلتها ومن داوم علی قرائة سورة الملك فی کل لیلة والمبطون ای صاحب الاستقاء ستسقاء بدل اوالاسهال قولان فعلی هذا اطلاق المص فی غیر موضعه والمعنی کل شخص من غیر نص علیه انه لایسئل ثم اختلف هل السؤال بالسریانی اوکل احد یسئل بلغته فقیل بالاول وقیل بالثانی قال بعضهم وهو الحق وقیل غیر معروف بین المتکلمین وهل السؤال مرة واحدة فقیل نعم وقیل یسئل ثلاثا وقیل ان المؤمن یسئل سبعة ایام والکافر اربعین صباحا ونقل الشارح المقدسی ان سؤال القبر دون عذابه من خصائص هذه الامة تبتلی فی قبورها الحدیث اخرجه مسلم والحکمة فی ذلك لتعجل عذابها فی البرزخ فتوافی القیامة ممحصة وذکروا فی خصائصه صلی الله علیه وسلم انه مما خص به فی امته انهم اول من تنشق عنهم الارض من الامم ویاتون غرا محجلین وعجل عذابهم فی الدنیا وفی البرزخ لیوافوا القیامة ممحصین ویدخلون قبورهم بذنوبهم ویخرجون منها بلاذنوب ونقل شیخنا ان السؤال عن النبی صلی الله علیه وسلم انما یکون عن نبینا علیه الصلاة والسلام خاصة کما هوظاهر حدیث الصحیحین بی تفتنون وعنی تسئلون فهو معدود من خصائصه علیه السلام انتهی وکان هذا بناء علی ان السؤال مختص بهذه الامة وان المعنی ان سؤال هذه الامة مختص بکونه عن نبینا علیه السلام دون غیره والافاذا کان للامم السابقة سؤالا فالظاهر ان یکون سؤال کل امة عن النبی الذی ارسل الیها فالخطاب فی قوله علیه السلام وعنی تسئلون لهذه الامة فافهم

الاعراب

فی الاجداث متعلق بسیبلی وعن توحید ربی متعلق بالسؤال فهو لف ونشر مرتب وقیل الظرف الثانی ایضا متعلق بسیبلی ولا معنی له کما لایخفی وکل مرفوع نائب فاعل

سيبلى وشخص مجرور باضافة كل اليه و بالسؤال متعلق بسيبلى (وحاصل معنى البيت) سيبلى كل شخص من المكلفين او من بنى آدم فى قبره بالسؤال عن توحيد ربه الا من استثنى عن ذلك والله اعلم واحكم قال الناظم رحمه الله تعالى

---

٥٥ وَلِلْكُفَّارِ وَالْفُسَّاقِ يُقْضٰى ❊ عَذَابُ الْقَبْرِ مِنْ شَرِّ الْفِعَالِ

الواو عاطفة قصة على قصة و للكفار متعلق بيقضى و للفساق عطف على الكفار ويقضى على صيغة المبنى للمفعول و نائب فاعله عذاب القبر وحذف الفاعل لتعينه لان هذا القضاء لا يكون الا من الله تعا كما دل عليه القران الكريم و من شر متعلق بيقضى اوبعذاب و من ههنا تعليلية كما فى قوله تعا مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا وقول الشاعر : يغضى حياء ويغضى من مهابته ❊ كما فى المغنى والفعال بكسر الفاء جمع فعل وبالفتح مصدر كما فى الصحاح وكلا المعنيين محتمل ههنا (وحاصل معنى البيت) ان عذاب القبر حق ثابت بالادلة واقع للكفار ولمن يستحق ذلك من عصاة المؤمنين وكذلك نعيمه للمؤمنين فوقوعه ايضا واجب وتركه المص رحمه الله وقد ذكر فى سائر كتب هذا الفن اكتفاء بذكر المقابل ولان النصوص الواردة فى عذاب القبر اكثر ولان غالب اهل القبور كفار وعصاة لكن ماذكره اولى كما فعل غيره كالنسفى رحمه الله وقال صاحب الجوهرة : سؤالنا ثم عذاب القبر نعيمه واجب كبعث الحشر وهو امر ممكن اخبر به الصادق ونطقت به النصوص قال تعا اَلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ اَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ اَشَدَّ الْعَذَابِ وقال تعا وَمَنْ اَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَاِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا اريد به عذاب القبر وقال تعا سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ اى مرة فى القبر ومرة يوم القيامة وقوله تعا فَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْاَدْنٰى دُونَ الْعَذَابِ الْاَكْبَرِ جاء فى التفسير الادنى عذاب القبر وقال عليه السلام يُثَبِّتُ اللّٰهُ الَّذِينَ اٰمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ نزلت فى عذاب القبر اذا قيل له من ربك وما دينك ومن نبيك الحديث وقال عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة اوحفرة من حفر النيران وبقية الاحاديث فى هذا المعنى قد بلغ جملتها حد التواتر وان لم يبلغ آحادها حد التواتر وانكر عذاب القبر بعض المعتزلة والروافض زعما بان الميت جماد لاحياة له ولا ادراك له فتعذيبه محال . الجواب انه مردود بما قدمنا ولانه يجوز ان يخلق الله تعا فى جميع اجزائه اوفى بعضها نوعا من الحياة قدر مايدرك الم العذاب

ولذة النعيم

ولذة النعيم وهذا لا يستلزم اعادة الروح الى بدنه ولا ان يتحرك ويضطرب اويرى اثر العذاب عليه حتى ان الغريق في الماء والماكول في بطون الحيوانات والمصلوب في الهواء يعذب وان لم نطلع عليه ومن تامل في عجائب ملكه وغرائب قدرته وجبروته لم يستبعد امثال ذلك فضلا عن الاستحالة. فائدة قال ابن القيم عذاب القبر قسمان دائم وهو عذاب الكفار وبعض العصاة ومنقطع وهو عذاب من خفت جرائمهم من العصاة فانهم يعذبون بحسبها ثم يرفع عنهم بدعاء اوصدقة اوغير ذلك قال اليافعي[1] بلغنا ان الموتى لا يعذبون ليلة الجمعة تشريفا لها ويحتمل اختصاص ذلك بعصاة المسلمين دون الكفار وعممه بعض العلماء للكفار ايضا فقال ان الكافر يرفع عنه العذاب يوم الجمعة وجميع شهر رمضان. واما المسلم العاصى فان مات في غير الجمعة عذب اليها ثم ينقطع فلا يعود الى يوم القيامة وممن صرح بان عذاب القبر نوعان دائم ومنقطع الدميري[2] من السادة الشافعية نقله شيخنا في شرحه وفيه بشارة عظيمة والله اعلم . قال الناظم رحمه الله

٥٦ حِسَابُ النَّاسِ بَعْدَ الْبَعْثِ حَقٌّ ۞ فَكُونُوا بِالتَّحَرُّزِ عَنْ وَبَالِ

حساب الله الناس عدا عما لهم عليهم يوم القيامة ومجازاتهم عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر والناس ان كان من الانس ضد الوحشة اختص ببني آدم وان كان من نوس اذا تحرك فيعم الجن بالحقيقة او الغلبة والثاني هو الظاهر ههنا لانه عليه السلام مرسل اليهم على ما قدمنا واسلم منهم جمع على يديه كجن نصيبين فيحاسبون خصوصا على حقوق الآدميين لان شرورهم تصل الينا واصل الناس الاناس حذفت الهمزة تخفيفا وقال صاحب القاموس يكون من الانس ومن الجن جمع انس اصله اناس جمع عزيز ادخل عليه ال وفيما قاله نظر اذ جعله شاملا للجن مع كون مفرده انس غير متجه ولذا قال انه جمع عزيز ومخالف لما صرح به صاحب الكشاف في سورة البقرة والاعراف من انه اسم جمع غير تكسير بدليل عود الضمير اليه وتصغيره على لفظه ولانه لم يسمع جاء جمع على فعال بالضم الا في ثمانية الفاظ كما قاله السعد رحمه الله لكن زاد عليه صاحب المزهر وغيره الفاظا والبعث ان يخرج الله تعالى الموتى من القبور بان يجمع اجزاءهم الاصلية ويعيد الارواح اليها وهو على جمعها القدير ثم يساقون الى المحشر والوبال سوء العاقبة

(١) عفيف الدين عبد الله اليافعي الشافعي توفي سنة ٧٦٨ هـ [١٣٦٧ م.] في مكة المكرمة
(٢) كمال الدين محمد الدميري المصري توفي سنة ٨٠٨ هـ [١٤٠٥ م.]

(وحاصل معنى البيت) ان حساب الله الناس بعد بعثهم من قبورهم على افعالهم واقوالهم قلت اوكثرت ومجازاتهم عليها حق ثابت يجب اعتقاد وقوعه فكونوا معشر الناس متسمين بالتحرز عن الوقوع في الآثام ومايوجب النكال والملام واخروا لذلك اليوم ماينفعكم فسيرى الله عملكم ويجازيكم على ماكسبتم من خير اوشر كما قال الله تعالى ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ وقال تعالى ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ وقال تعالى ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ وقوله عليه السلام حلالها حساب وحرامها عذاب فالبعث والحساب والمجازات حق عند اهل السنة للنصوص القاطعة مما ذكرنا وغيرها بحشر الاجساد وانكره الفلاسفة بناء على امتناع اعادة المعدوم بعينه قال العلامة رحمه الله في شرح العقائد وهو اى قول الفلاسفة مع انهم لا دليل لهم عليه غير مضر بالمق لان مرادنا ان الله تعالى يجمع الاجزاء الاصلية للانسان ويعيد روحه اليه سواء سمي ذلك اعادة المعدوم بعينه اولم يسم انتهى ومفاده انهم يقولون بالحشر وانما يخالفون في التسمية وفيه نظر فتامل ثم اطلاق المص رحمه الله الناس يحتمل دخول الجن فيهم ويحتمل عدمه على ماقدمنا لكن الاكثرون على دخولهم لانهم مكلفون لهم ثواب وعليهم عقاب فيحاسبون كبني آدم وهو الراجح واما الملائكة هل يحاسبون : اخرج ابن ابي حاتم عن عطاء بن السائب قال اول من يحاسب جبرائيل عليه السلام والمراد من حسابه والله اعلم ما اخرجه ابن حبان[1] عن سنان انه قال : اللوح المحفوظ معلق بالعرش فاذا اراد الله تعالى ان يوحى بشيء كتب في اللوح المحفوظ فيجيء اللوح حتى يقرع جبهة اسرافيل فينظر فيه فان كان متعلقا الى اهل السماء دفعه الى ميكائيل وان كان الى اهل الارض دفعه الى جبرائيل فاول من يحاسب يوم القيامة اللوح يدعى به فترعد فرائصه فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيقال من يشهد لك فيقول اسرافيل فيدعى اسرافيل فترعد فرائصه فيقال هل بلغك اللوح فاذا قال نعم قال اللوح الحمد لله الذي نجاني من سوء الحساب . واخرج ايضا عن وهب بن الورد قال اذا كان يوم القيامة دعي اسرافيل ترعد فرائصه فيقال ما صنعت فيما أدي اليك فيقول بلغت جبرائيل فيدعى جبرائيل ترعد فرائصه فيقال ما صنعت فيما بلغك اسرافيل فيقول بلغت الرسل فيؤتى بالرسل فيقال ما صنعتم فيما أدى اليكم جبرائيل فيقولون بلغنا الناس وهو قوله تعالى ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ ثم تسئل الامم وسؤالهم بحسب احوالهم فمنهم من

---

(١) ابو خاتم محمد ابن حبّان الشافعي توفي سنة ٣٥٤ هـ [٩٦٥ م.] في سمرقند

يسئل على رؤس الاشهاد فينفضح بالسؤال ومنهم من لم يطلع على سؤاله احد كما قال عليه السلام ان الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه وستره فيقول اتعرف ذنب كذا اتعرف ذنب كذا فيقول نعم اى رب حتى اذا قرره بذنوبه ورآى فى نفسه انه قد هلك قال سترتها عليك فى الدنيا وانا اغفرها لك اليوم فيعطيه الله كتاب حسناته واما الكافرون والمنافقون فينادى لهم على رؤس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة على الظالمين وروى الامام احمد رحمه الله ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يقتص للخلق بعضهم من بعض حتى للجماء من القرناء وحتى للذرة من الذرة وقال ليختصمن كل شيئ يوم القيامة حتى الشاتان فيما انتطحا ذكره على قارى قال واختلف فى دخول الجن الجنة على اربعة اقوال احدها نعم الثانى لا بل يكونون فى ربضها الثالث انهم على الاعراف الرابع الوقف وحكى القول بدخولهم عن اكثر العلماء وعن مجاهد انهم اذا دخلوا الجنة لا ياكلون ولا يشربون ويلهمون من التسبيح والتقديس مايجده اهل الجنة من لذة الطعام والشراب ذكر الحارث المحاسبى[1] انا نراهم اذ ذاك وهم لايروننا عكس ماكانوا عليه فى الدنيا الاعراب حساب مضاف الى الناس مبتدأ من اضافة المصدر الى مفعوله اى حساب الله الناس وبعد منصوب على الظرفية مضاف الى البعث وحق خبر المبتدأ فكونوا الفاء فصيحية اوتفريعية وكونوا فعل امر من كان الناقصة واسمها مستتر وبالتحرز متعلق بخبر كان المحذوف اى متلبسين اومتسمين بالتحرز عن وبال اى سوء العاقبة يعنى عن الاثام من اطلاق السبب وارادة المسبب ومعنى البيت قد ظهر تتمة يحاسب العبد يوم القيامة بلا ترجمان فالله يسئل والعبد يجيب واول شيئ يحاسب عليه الصلاة واول مايقضى بين الناس فى الدماء رواه ابن بريدة مرفوعا واول من يساق الى النار من الآدميين قابيل لانه راس هذه الخطيئة ومن الجن ابليس لعنه الله تعالى والله اعلم قال الناظم رحمه الله

٥٧ وَيُعْطَى الْكُتْبَ بَعْضًا نَحْوَ يُمْنٰى ❊ وَبَعْضًا نَحْوَ ظَهْرٍ وَالشِّمَالِ

الكتب بضمتين جمع كتاب وخفف بالسكون وهو قليل والمراد بها الصحائف التى اثبت فيها طاعات العباد ومعاصيهم بضبط الكاتبين على كل عبد جميع اقواله وافعاله وما اسلفه فى دار الدنيا مدة حياته كما قال تعالى مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ اِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ وظاهر بعض الاخبار ان الذى يعرض مابقى فيها بعد المحو منها لقوله

(١) الحارث المحاسبي من العرفاء و الاتقياء البصري توفي سنة ٢٤٣ هـ [٨٥٧ م.]

عليه السلام واتبع السيئة الحسنة تمحها فظاهره انها تزال حقيقة من الصحيفة اذ هو المتبادر الى الفهم من المحو لان الاصل الحقيقة وجوز بعضهم كونه عبارة عن ترك المؤاخذة بها مع بقائها فى الصحيفة لكنه تجوز يحتاج الى الدليل ويؤيد الاول ما اخرجه الطبرانى عن ابى مالك الاشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه اذا نام ابن آدم قال الملك للشيطان اعطنى صحيفتك فيعطيه اياها فما وجد فى صحيفته محى بها عشر سيئات من صحيفة الشيطان وكتبهن حسنات (وحاصل معنى البيت) انه مما يجب اعتقاده والايمان به ان كل انسان يعطى كتابه يوم القيامة فيجد جميع ما فعله فى دار الدنيا من خير او شر فيجازى به ثبت ذلك بالادلة القطعية كما قدمنا قال تعالى وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا * اِقْرَأْ كِتَابَكَ كَفٰى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا وقال تعالى فَاَمَّا مَنْ اُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا اى سهلا لا مناقشة فيه وَيَنْقَلِبُ اِلٰى اَهْلِهِ مَسْرُورًا * فرحا، اذا اخذ كتابه بيمينه يبيض وجهه ويمد له فى جسمه ستون ذراعا واذا قرا وجد عنوانه : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب الله الجليل الى الصالح الخليل فيجد فيه اعماله الصالحة فينطلق الى اهله واصحابه وعلى راسه تاج من لؤلؤ فاذا رآه دعوا الله ان يكون لهم مثل ذلك فيقول لهم ابشروا كل منكم مثل هذا وَاَمَّا مَنْ اُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ اى بشماله من وراء ظهره وقيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره ثم يعطى كتابه فيها لتشتد حسرته وح يتمنى الهلاك كما قال تعالى فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا بمعنى انه يتمنى الثبور فيقول واثبوراه عند رؤيته ضبط جميع افعاله وقبايحه وما صدر منه فى الدنيا كما قال تعالى وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً اِلَّا اَحْصٰيهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ اَحَدًا وانكر بعض المعتزلة الكتاب يزعمون ان الاعمال معلومة لله تعالى فكتابتها عبث ورد بما قدمنا وغيره من النصوص ولان افعال الله تعالى لا تعلل بالاغراض ولو سلم فهناك من الحكمة مالم نطلع عليه وعدم الاطلاع عليه لا يوجب العبث تعالى الله ان يكون فى افعاله عبث الاعراب يعطى مضارع اعطى يتعدى الى مفعولين ويصح ان يكون ههنا بالياء التحتية وفيه وجهان احدهما ان يكون مبنيا للمفعول والاصل يعطى الله الكتب حذف فاعله للعلم به والكتب مفعوله الاول اقيم مقام الفاعل وبعضا مفعوله الثانى وحذف المضاف اليه للضرورة اى بعض الناس وقيل تنوينه عوض عن المحذوف

والثانى

والثانی ان یکون فاعل یعطی محذوفا لما ذکرنا ونائب فاعله مستتر یرجع الی الناس فی البیت السابق وهو مفعوله الاول والکتب مفعوله الثانی ویکون بعضا وبعضا بدلا اما من نائب الفاعل باعتبار المحل او من الکتب بدل مفصل من مجمل ویصح ان یکون مبنیا للفاعل وفاعله مستتر یرجع الی الله والکتب احد مفعولیه والثانی محذوف ای الناس وبعضا وبعضا بدل من احدهما ویصح ان یکون بالتاء الفوقیة مبنیا للمفعول ونائب فاعله مستتر یرجع الی الناس والکتب مفعوله الثانی اوالکتب نائب الفاعل ومفعوله الثانی بعضا وبعضا اومحذوف ای الناس وبعضاوبعضا بدل منه ونحو ظرف بمعنی الجهة متعلق بیعطی مضاف الی یمنی ومثله نحو ظهر، والشمال عطف علی ظهر (وحاصل معنی البیت) ان حساب الناس بعد البعث علی اعمالهم حق وان الله یعطی الناس کتبهم التی ضبط فیها اعمالهم بعضهم من جهة یمینه وبعضهم من جهة شماله من وراء ظهره او یعطیهم کتبهم بعضا من جهة الیمین وبعضا من جهة الشمال کما اخبر الکریم المتعال قال الناظم رحمه الله تعالی رحمة واسعة :

٥٨ وَحَقٌّ وَزْنُ اَعْمَالٍ وَجَرْیٌ ❊ عَلٰی مَتْنِ الصِّرَاطِ بِلَا اهْتِبَالِ

الوزن مصدر وزن ومنه المیزان آلته ومتن الصراط ظهره واراد هنا بالاهتبال الکذب ای بلاکذب قال فی القاموس اهتبل کذب کثیر یعنی ان کلا من وزن الاعمال والمرور علی الصراط حق ثابت وقوعه بالنصوص من غیر کذب فیجب اعتقاد وقوعه لثبوته بالکتاب والسنة واجماع محقق الامة قال تعا وَالْوَزْنُ یَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِینُهُ فَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِینُهُ فَاُولٰٓئِكَ الَّذِیْنَ خَسِرُوْا اَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوْا بِآیَاتِنَا یَظْلِمُوْنَ وقال تعا فَاَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ فَهُوَ فِیْ عِیْشَةٍ رَّاضِیَةٍ وَاَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِیْنُهُ فَاُمُّهُ هَاوِیَةٌ وَمَا اَدْرَاكَ مَا هِیَهْ نَارٌ حَامِیَةٌ الی غیر ذلك وقد بلغت احادیثه مبلغ التواتر وانعقد اجماع اهل الحق علی وقوع الوزن وان اختلف فی کیفیة المیزان وذهب جمع من المحققین الی انه میزان حسی له کفتان ولسان توضع فیه صحف اعمال العباد لاظهار العدل بین راجح وخاسر لا لاحتیاج الیه قال العلامة رحمه الله فی شرح العقائد والمیزان عبارة عما یعرف به مقادیر الاعمال والعقل قاصر عن ادراك کیفیته انتهی وهو موافق

لمن توقف فى كيفيته والله اعلم بحقيقته وقال بعض المحققين والاصح انه ميزان واحد لجميع الامم ولجميع الاعمال، كفتاه كاطباق السموات والارض يوضع بين الجنة والنار وقيل لكل امة ميزان وقيل لكل مكلف ميزان وقيل للمؤمن موازين بعدد خيراته وانواع حسناته بدليل قوله تعا وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ واجاب الاولون بان الجمع للتعظيم نحو ارحمونى ياالله محمد واختلف فى الموزون فقيل نفس الكتب وهو الذى ذهب اليه الجمهور من المفسرين وذهب البعض الى ان الذى يوزن نفس الاعمال فتصور الاعمال الصالحة بصور نورانية كالجواهر فتطرح فى كفة النور وهى اليمنى المعدة للحسنات فتثقل بفضل الله تعا وتصور الاعمال السيئة بصور قبيحة ظلمانية فتطرح فى كفة الظلمة وهى الشمال المعدة للسيئات فتخفف بعدل الله تعا كما جاء به الحديث وذهب الى انه تعا يخلق اجساما على عدد الاعمال من غير قلب لها كما جاء به الاثر ايضا والكافر كالمؤمن فى وزن فى وزن الاعمال عند جمع من المحققين لكن يؤتى باعماله فى أقبح صورة وقوله تعا فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَزْنًا اى نافعا او قدرا فان قيل اذا وزنت الاعمال فرجحت اوخففت ماذا يفعل بها بعد ذلك اجيب بما نقله بعض المحققين ان من سعد وضعت اعماله الصالحة على باب داره فى الجنة يكون ذلك زيادة فى السرور وان كان خاسرا وضعت على بابه فى النار وقيل تلقى معه فى النار والمرور على الصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم يعبره اهل الجنة وتزل به اقدام اهل النار وانكره اكثر المعتزلة لانه لايمكن المرور عليه وان امكن فهو تعذيب للمؤمنين وتكليف بمالا يطاق والجواب انه تعا قادر على ان يمكن من المرور عليه ويسهله على المؤمنين حتى يجوزه كالبرق

ادق من الشعر واحد من السيف

الخاطف كما اخبر به الصادق صلى الله عليه وسلم ففيه معارضة للنصوص قال الله تعالى وَاِنْ مِنْكُمْ اِلَّا وَارِدُهَا وورود المؤمن انما يكون فوقها على الصراط وقال عليه السلام اِنَّ الله تعا خَلَقَ لِلنَّارِ جِسْرًا وَهُوَ الصِّرَاطُ طُولُهُ مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ اٰلَافِ سَنَةٍ اَلْفٌ صُعُودٌ وَاَلْفٌ هُبُوطٌ وَاَلْفٌ اِسْتِوَاءٌ، جبريل فى اوله وميكائيل فى وسطه يسئلان الناس عن عمرهم فيما افنوه وعن شبابهم فيما ابلوه وعن اعمالهم ماذا عملوا. وورد فى بعض الآثار: انه سبع قناطر ادق من الشعرة واحد من السيف

واظلم

واظلم من الليل كل قنطرة منها ثلاثة الاف سنة الف صعود والف هبوط والف استواء يسئل فى اوله عن الايمان وفى الثانى عن الصلاة بالاركان وفى الثالث عن الزكاة وفى الرابع عن صوم رمضان وفى الخامس عن الحج وفى السادس عن الوضوء والغسل والجنابة بالاسباغ وفى السابع عن الوالدين وصلة الارحام والاصلاح بين الاخوان فان اجاب عن كلها مر عليه كالبرق الخاطف والا تردى فى النار وعن عائشة رضي الله عنها انها سئلت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمٰوٰتُ وَبَرَزُوا لِلّٰهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ اذا بدلت الارض فاين يكون الناس فقال عليه السلام يكونون على الصراط والنصوص فى ذلك كثيرة لا ينكرها الا من اضله الله ثم مرورهم مختلف متفاوت فى سرعة النجاة وعدمها بحسب تفاوت اعمالهم يدل عليه حديث: يَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفَةِ عَيْنٍ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ وَكَالطَّيْرِ وَكَاَجْوَدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ فَنَاجٍ سَلِيمٌ وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ وَمَكْدُوشٌ فِى نَارِ جَهَنَّمَ » واول من يمر على الصراط محمد صلى الله عليه وسلم ومن الامم امته ولا يتكلم ح الا المرسلون يقولون اللهم سلم سلم وفى بعض الروايات ثم عيسى عليه السلام بامته يدعون نبيا نبيا حتى يكون آخرهم نوحا وامته وآخر من يمر على الصراط رجل يتلبط على بطنه فيقول اى رب لم بطئت بى فيقال انما بطئ بك عملك الاعراب حق خبر مقدم ووزن اعمال مبتدأ مؤخر وجرى معطوف على وزن فيكون من عطف المفردات اى الوزن والجرى ذو حق او المعطوف محذوف وهو حق فيكون من عطف الجمل وعلى متن الصراط متعلق بجرى وبلا اهتبال فى محل رفع صفة حق او خبر مبتدأ محذوف اى وذلك بلا اهتبال (وحاصل معنى البيت) وزن اعمال العباد بعد بعثهم ووقوعهم بين يدى ربهم حق والجرى على متن الصراط حق خال عن الكذب فيجب اعتقاد وقوع كل منهما ومن انكر ذلك كان مخالفا لاهل السنة والجماعة تتمة لم يتعرض المص لذكر الحوض كما تعرض غيره وهو ايضا حق يجب اعتقاده لقوله تعالى اِنَّا اَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ولقوله عليه السلام حَوْضِى مَسِيرَةُ شَهْرٍ وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ مَاؤُهُ اَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ وَرِيحُهُ اَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ وَكِيزَانُهُ اَكْثَرُ مِنْ نُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَا يَظْمَأُ اَبَدًا وروى مسلم عن انس رضي الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم

بين اظهرنا اذ غفا اغفاء ثم رفع راسه متبسما فقال ما اضحكك يا رسول الله فقال اُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنفًا سُورَةٌ فقرأ اِنَّا اَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ثم قال اَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ قلنا الله ورسوله اعلم قال اِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ وَهُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ اُمَّتِي يَوْمَ الْقِيمَةِ آنِيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ يُمْنَعُ الْعَبْدُ مِنْهُ فَاَقُولُ يَا رَبِّ اِنَّهُ مِنْ اُمَّتِي فَيُقَالُ مَا تَدْرِي مَا اَحْدَثَ بَعْدَكَ وروى ابن ماجه[1] الكوثر نهر فى الجنة حافتاه الذهب مجراه على الدر والياقوت تربته اطيب من المسك واشد بياضا من الثلج وظاهر هذا ان الحوض فى الجنة والذى قبله يدل على انه قبلها واجيب بانهما اثنان قال الامام السيوطى نقلا عن القرطبى[2] ان الحوض حوضان الاول قبل الصراط وقبل الميزان على الاصح والثانى فى الجنة وكلاهما يسمى كوثرا انتهى والله اعلم قال الناظم رح

٥٩ وَمَرْجُوٌّ شَفَاعَةُ اَهْلِ خَيْرٍ لِاَصْحَابِ الْكَبَائِرِ كَالْجِبَالِ

مرجو اسم مفعول من رجوته رجاء بالمد بمعنى الامل فانا راج وهو مرجو وهى مرجوة والشفاعة لغة الوسائل وعرفا سؤال الخير للغير ماخوذ من الشفع ضد الوتر من شفع من باب فتح يفتح سميت به لان الشافع يضم المشفوع له الى نفسه او يضم سؤاله الى سؤاله والكبائر جمع كبيرة والمراد بها ههنا كل معصية غير الشرك وغير الصغائر ولذا وصفها بقوله كالجبال واختلفوا فى حدها وضبطها والاحسن ما قيل فيها كل ما كان شنيعا بين المسلمين وفيه هتك حرمة من حرمات الله تعا فهو كبيرة وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما انها تسعة الشرك بالله وقتل النفس بغير حق وقذف المحصنات والزنا والفرار من الزحف والسحر واكل مال اليتيم بغير حق وعقوق الوالدين المسلمين والالحاد فى الحرم وزاد ابو هريرة رضى الله عنه اكل الربا وزاد على رضى الله عنه السرقة وشرب الخمر وقيل هو كل ما كان مفسدة مثل شئ مما ذكر او اكثر منه وقيل هو كل ما توعد عليه الشارع بخصوصه وقيل كل معصية اَصَرَّ عليه العبد فهى كبيرة وكل ما استغفر عنها فهى صغيرة ويقرب من هذا ما روى ان رجلا سئل ابن عباس رضى الله عنه اسبع الكبائر فقال هى الى السبعماة اقرب الا انه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وقيل هى كل معصية وجب بها حد وهو قول بعض الفقهاء وقال صاحب الكفاية الحق انهما اسمان اضافيان لا يعرفان بذاتهما فكل معصية اضيفت الى ما

(١) محمد ابن ماجة القزويني توفي سنة ٢٧٣ هـ [٨٨٦ م.]

(٢) محمد القرطبي المالكي الاندلسي توفي سنة ٦٧١ هـ [١٢٧٣ م.]

فوقها فهي صغيرة وان اضيفت الى ما دونها فهي كبيرة انتهى لكن قوله تعالى : إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ يدل بظاهره ان الكبائر ممتازة عن الصغائر بالذات فتامل والكبيرة المطلقة هي الكفر اذ لا ذنب فوقه وبالجملة فالمراد بالكبائر ههنا غير الكفر اذ لا شفاعة ولا عفو في الكفر اصلا والحاصل ان شفاعة اهل الخير كالانبياء والمؤمنين لاهل الكبائر ثابتة مرجوة القبول يجب الايمان بوقوعها قال تعالى : مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ وقال تعالى وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وقال تعالى : فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ فان اسلوب هذا الكلام يدل على ثبوت الشفاعة في الجملة والا لما كان لنفي نفعها عن الكافرين عند القصد الى تقبيح حالهم وتحقيق يا سهم معنى لان مثل هذا المقام يقتضي ان يوسموا بما يخصهم لا بما يعمهم وغيرهم وليس المراد ان تعليق الحكم بالكافرين يدل على نفيه عما عداهم حتى يرد علينا ما يقوم حجة على من يقول بمفهوم المخالفة وقال عليه الصلاة والسلام شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي وفي سنن ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء وحديث يشفع نبيكم رابع اربعة جبرائيل ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم نبيكم صلى الله عليه وسلم ثم الملئكة ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء . رواه ابو عمرو بن السماك والشفاعة العظمى التي اعطيها نبينا صلى الله عليه وسلم الشفاعة في فصل القضاء حين يسئل الناس آدم عليه السلام في ذلك فلا يجيبهم لتذكره ما وقع له من الاكل من الشجرة ثم ياتون الى نوح عليه السلام ثم الى الانبياء من بعده فكل يقول نفسي لا اريد سواها فياتون محمدا صلى الله عليه وسلم وقد زاد بهم الكرب فيسئلونه الشفاعة العظمى في فصل القضاء فيقول انا لها ويسجد تحت العرش وقدر السجود والاختلاف فيه مبسوط في موضعه فيشفع صلى الله عليه وسلم فيُشَفَّع ويعجل الحساب ويرتاح الناس من هول الموقف بهذه الشفاعة خاصة به صلى الله عليه وسلم اتفاقا وكذا الشفاعة في ادخال قوم الجنة بغير حساب عند الاكثر وكذا الشفاعة في زيادة الدرجات وفي حديث الحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنهما بعد ان ذكر الدجال وخروج ياجوج وماجوج وغير ذلك قال ثم يؤمر بالصراط فيضرب على جهنم فيمر الناس عليه على قدر اعمالهم زمرا كلمح البصر والبرق ثم كمر الريح ثم كمر الطير ثم كاسرع البهائم ثم كذلك حتى يمر الرجل سعيا ثم مشيا ثم يكون آخرهم رجل يتلبط على بطنه فيقول اى رب لما ذا ابطات بي فيقال

انما ابطا بك عملك ثم يؤذن فى الشفاعة فيكون اول شافع روح القدس جبرائيل ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم يقوم نبيك رابعا لا يشفع بعده احد فما يشفع فيه وهو المقام المحمود الذى ذكره الله تعا فليس من نفس الا وهى تنظر الى بيت فى الجنة او بيت فى النار وهو يوم الحسرة ثم تشفع الملائكة والشهداء والصالحون والمؤمنون فيشفعهم ثم يقول الله تبارك وتعا انا ارحم الراحمين فيخرج من النار اكثر مما اخرج منها من جميع الخلق برحمته فاذا اراد ان لا يخرج منها احدا غيّر وجوههم والوانهم فيجئ الرجل فينظر فلا يعرف فيناديه الرجل فيقول يافلان انا فلان فيقول لا اعرفك فعند ذلك يقولون رَبَّنَا اَخْرِجْنَا مِنهَا فَاِنْ عُدْنَا فَاِنَّا ظَالِمُونَ فيقول الله تعا اِخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ فاذا قال ذلك اطبقت عليهم فلا يخرج منهم بشر وتمام الحديث فى مستدرك الحاكم وانكر المعتزلة وقوع الشفاعة واحتجوا بمثل قوله تعالى وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا تُقْبَلُ مِنهَا شَفَاعَةٌ وقوله تعالى مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ والجواب بعد تسليم دلالتها على العموم فى الاشخاص والازمان والاحوال : انه يجب تخصيصها بالكفار جمعا بين الادلة ولما كان اصل العفو والشفاعة ثابتا بالادلة القطعية من الكتاب والسنة والاجماع قالت المعتزلة يجوز العفو عن الصغائر مطلقا وعن الكبائر بعد التوبة وبالشفاعة وزيادة الثواب وكلاهما فاسدان اما الاول فلان التائب ومرتكب الصغيرة المجتنب عن الكبيرة لا يستحقان العذاب عندهم فلا معنى للعفو والثانى فلان النصوص واردة فى الشفاعة بمعنى العفو عن الجناية ثم اعلم ان المراد من الشفاعة لاصحاب الكبائر اى التى ماتوا عليها من غير توبة واما التائب عنها بشروطها ولو عند الياس كما قدمنا فكمن لا ذنب له لقوله تعا اِلَّا مَنْ تَابَ وَاٰمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَاُولٰئِكَ يُبَدِّلُ اللّٰهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وذكروا ان للتوبة شروطا ثلاثة اثنان عامان الاول الندم على الذنب وخوف عقابه الثانى العزم على ان لا يعود اليه ما عاش كما لا يعود اللبن الى الضرع الثالث وهو خاص الاقلاع عن الذنب فى الحال بان يتركه ان كان متلبسا به اومصرا على المعاودة اليه فان كانت المعصية تتعلق بآدمى فلها شرط رابع وهو رد الظلامة الى صاحبها اوتحصيل البرائة منه ان قدر ولو الى وارثه فان كانت غير مال استغفر

له ولا فائدة للتوبة والاستغفار مع التلبيس بالمعصية والاصرار عليها ففى الحديث اَلمُستَغفِرُ مِنَ الذنبِ وَهوَ مُقيمٌ عَليهِ كالمُستَهزِئِ بِرَبّهِ وقوله عليه السلام التوبة نَدَمٌ اى معظم شروطها الندم لا مجرد الندم قال العلامة ابن العماد[1] وشروطها المذكورة ماخوذة من القرآن اما الندم فماخوذ من قوله تعا وَالَّذِينَ اِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً اَوظَلَمُوا اَنفُسَهُم ذَكَرُوا اللهَ فَاستَغفَرُوا لِذُنُوبِهِم واما الاقلاع وترك العود ورد المظلمة فمستفاد من قوله وَلَم يُصِرُّوا عَلَى مَافَعَلُوا لان من لم يقلع عن الذنب فهو مصر عليه ومن اقلع وعزم على العود بعد مدة فهو مصرّ ايضا وكذا من عزم على ترك العود مطلقا لكن امسك ما غصبه مثلا ولم يرد فهو مصر وفى هذا الاخير نظر فتدبر وزاد بعضهم فى الشروط وقوع التوبة فى وقتها وهو ما قبل الغرغرة لما رواه الترمذى وحسنه عنه عليه السلام انه قال اِنَّ اللهَ يَقبَلُ تَوبَةَ العَبدِ مَالَم يُغَرغِرْ اى تبلغ روحه حلقومه قيل هذا عند الاشاعرة واما عندنا فانما يشترط عدم الغرغرة فى ايمان الكافر دون توبة المؤمن العاصى عملا بالاستصحاب اذ المؤمن قد سبق منه المعرفة والكافر يريد ان ينشئ ايمانا فلا يقبل منه فتوبة الياس مقبولة عندنا لا ايمانه انتهى وقدمنا الكلام فيه مفصلا فارجع الى تحقيقه وزاد بعضهم شرطا آخر وهو ان تقع التوبة قبل ظهور الآيات كطلوع الشمس من مغربها ثم اعلم ان توبة الكافر من كفره مقطوع بقبولها واما ما سواها من انواع التوبة هل قبوله قطعى اوظنى فيه خلاف بين اهل السنة فاختار امام الحرمين انه ظنى واختار بعضهم انه قطعى فمن اختار الاول نظر الى نحو قوله تعا : وَيَغفِرُ مَادُونَ ذٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ومن اختار الثانى نظر الى قوله تعا : فَاُولٰئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِم حَسَنَاتٍ وقوله تعا : وَهُوَالَّذِي يَقبَلُ التَّوبَةَ عَن عِبَادِهِ وَيَعفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ من غير تعليق وهو الاظهر وحاصله ان الناس على قسمين لا ثالث لهما ولا واسطة بينهما عند اهل السنة مؤمن وكافر فالكافر فى النار اجماعًا والمؤمن على قسمين طائع وعاص فالطائع فى الجنة اجماعًا والعاصى على قسمين تائب وغير تائب فالتائب فى الجنة اجماعا خلافا لامام الحرمين كما قدمنا وغير التائب من المعاصى غير الكفر كبيرة كانت اوصغيرة مات مصرا عليها فهو فى مشية الله تعا اما ان يعاقبه بادخاله النار ثم يدخله الجنة واما ان يسامح بعد

---

(١) عبد الرحمن ابن العماد مفتي الشام توفي سنة ١٠٥١ هـ [١٦٤١ م.]

دخوله النار بمجرد فضله تعا او بفضله بشفاعة من النبى صلى الله عليه وسلم بلا خلاف اوممن يشاء الله مع خلاف فى ان هذه الشفاعة هل هى مختصة به صلى الله عليه وسلم اولا كما قدمنا الاعراب مرجو خبر مقدم وشفاعة اهل خير مبتدأ مؤخر لاصحاب متعلق بمرجو مضاف الى الكبائر وكالجبال اما فى محل جر صفة للكبائر نظراً للمعنى اوفى محل نصب على الحال منه نظراً للفظه (وحاصل معنى البيت) ان الشفاعة ثابتة للرسل والاخيار فى حق اهل الكبائر التى هى كالجبال غير الشرك اوحال كونها كالجبال خلافاً لما يزعمه اهل المعتزلة والله اعلم بحقيقة الحال قال الناظم رحمه الله

٦٠ وَذُو الْإِيمَانِ لَا يَبْقَى مُقِيمًا ۞ بِشُؤْمِ الذَّنْبِ فِي دَارِ اشْتِعَالِ

ذو بمعنى صاحب واراد بقوله لا يبقى مقيما اى لا يخلد فى النار بسبب شوم ذنبه اى ارتكابه الكبائر كما يقوله بعض المعتزلة والشوم سوء العاقبة والمراد بها اقبح الذنوب اوالذنوب القبيحة التى عاقبتها وبال ونكال واراد بدار الاشتعال جهنم والمعنى ان من ارتكب من اهل الايمان كبيرة وان عظمت ومات مصراً عليها لا يخرج بسببها عن ايمانه مالم تكن موجبة للكفر وان دخل النار بسببها وعوقب عليها لا يخلد فيها قال تعا فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ومن الخير الايمان بالله ورسوله وكتابه المنزل فمن وجد منه ذلك ومات عليه يجب ان يرى ثوابه فى الجنة وان كان من اهل الكبائر وذلك لا يكون الا بعد خلاصه من النار اذ الثواب قبل العقاب منتف بالاتفاق فثبت ان المؤمن العاصى لا يخلد فى دار الاشتعال اى جهنم وقال تعا وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ وقال تعا إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا فان المؤمن وان عمل جميع الكبائر غير الكفر لا بد ان يوجد منه عمل الصالحات فى الجملة الى غير ذلك من النصوص الدالة على ان المؤمن من اهل الجنة ابتداء او مآلا وانه وان عمل جميع المعاصى غير الكفر لا يخرج بها عن الايمان ولا يخلد فى النار ويرجى له الغفران وايضا الخلود فى النار من اعظم العقوبات وقد جعل جزاء للكفر الذى هو اعظم الجنايات فلو جوزى به المذنب كما جوزى به الكافر كان زيادة على قدر الجناية قال الشيخ النووى[1] مذهب اهل الحق من السلف والخلف ان من مات موحداً ادخل الجنة

(١) الامام يحيى النووي الشافعي توفي سنة ٦٧٦ هـ [١٢٧٧ م.] في الشام

قطعا على كل حال كيف ما كان فان كان سالما من المعاصى كطفل او مجنون اتصل جنونه بالبلوغ وتائب توبة نصوحا وموفق ما الم بمعصية قط فانهم يدخلون الجنة ولا يدخلون النار لكنهم يردونها على الخلاف فى الورود واما من عمل كبيرة ومات بغير توبة فهو فى المشيئة ان شاء جعله كالقسم الاول وان شاء عذبه ثم يدخله النار ولا يخلد فى النار احد مات موحدا ولو عمل جميع المعاصى كما انه لا يدخل الجنة احد مات كافرا وان عمل اعمال البر ما عمل هذا مذهب اهل الحق انتهى وقد منا نحوه وذهبت المعتزلة الى ان من دخل النار كان خالدا فيها لانه اما كافر او صاحب كبيرة مات بلا توبة فالكافر مخلد بالاجماع وكذا صاحب الكبيرة بلا توبة لوجهين احدهما انه يستحق العذاب الذى هو مضرة خالصة دائمة فينافى استحقاق الثواب الذى هو منفعة خالصة دائمة والجواب عنه منع قيد الدوام والحاقه بالكافرين بل منع الاستحقاق بالمعنى الذى قصدوه وهو الاستيجاب وانما الثواب فضل منه والعذاب عدل فان شاء عفا وان شاء عذبه مدة ثم يدخله الجنة الوجه الثانى لهم النصوص الدالة على الخلود كقوله تعالى وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وقوله تعالى وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وقوله تعالى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَاَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَاُولٰئِكَ اَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ والجواب ان قاتل المؤمن لكونه مؤمنا لا يكون الا كافرا فيستحق الخلود وكذا من تعدى جميع حدود الله الشاملة للكفر وكذا من احاطت به الخطيئة وشملت من كل جانب لان هذا لا يتأتى فى حق المؤمن لما قدمنا ولو سلم فالخلود قد يستعمل فى المكث الطويل كقولهم سجن مخلد ولو سلم فمعارض بالنصوص الدالة على عدم الخلود ذكره السعد رحمه الله فى شرح العقائد وفى الصحيحين عن ابى ذر رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد قال لا اله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق الحديث

فائدة اختلف الماتريدية والاشاعرة فى معنى السعادة والشقاوة قالت الماتريدية السعادة الاسلام والشقاوة الكفر والسعيد هو المسلم والشقى هو الكافر وعلى هذا فيتصور ان السعيد قد يشقى بان يرتد بعد الايمان وان الشقى قد يسعد بان يؤمن بعد الكفر وان السعادة والشقاوة قد يتغيران ويتبدلان وما ختم له به من ايمان او كفر هو الذى سبق له فى العلم الازلى الذى لا تبدل ولا تغير فيه

ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم اِنَّ اَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ اَهْلِ الْجَنَّةِ حَتّٰى مَا يَكُوْنُ بَيْنَهٗ وَبَيْنَهَا اِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ اَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا الحديث وقالت الاشاعرة هما ازليان لا تتغيران ولا تتبدلان فالسعادة الموت على الايمان لتعلق العلم الازلى بها والشقاوة الموت على الكفر لتعلق العلم الازلى بها كذلك والسعيد من علم الله فى الازل موته على الايمان وان تقدم منه كفر والشقى من علم الله فى الازل موته على الكفر وان تقدم منه ايمان فعلى هذا لا يتصور فى السعيد ان يشقى ولا فى الشقى ان يسعد والظاهر ان الخلاف فى الختام لفظى وانما يظهر الخلاف فى الدوام فيجوز عندهم ان يقال انا مؤمن ان شاء الله نظرا للمآل لانه مجهول الحصول ووافقهم الشافعى على ذلك وعند الماتريدية لا يجوز ذلك نظرا للحال فلا بد ان يكون جازما بوجود الايمان غير شاك فيه فان وضع هذه الكلمة للشك ولذا بطل به الطلاق والعتاق واليمين والبيع ونحو ذلك فكيف يتحقق الايمان مع وجود الشك ووافقهم على ذلك الامام ابو حنيفة ومالك واحمد رحمهم الله تعالى فافهم وتحقق هذا المقام فانه من مزالق الاقدام وقد وقع فيه خبط من بعض الفضلاء الكرام .

الاعراب ذو الايمان مبتدأ لا نافية ويبقى مضارع منفى بها وفاعله مستتر يعود الى ذو الايمان والجملة فى محل رفع خبر المبتدأ ومقيما منصوب على الحال او التميز او خبر يبقى على انه بمعنى دام وبشوم جار ومجرور متعلق به والباء فيه للسببية والذنب مجرور باضافة شوم من اضافة الصفة الى الموصوف وفى دار اشتعال متعلق بما تعلق به شوم (وحاصل معنى البيت ان المؤمن لا يبقى مخلدا فى جهنم ان دخلها بسبب ما اقترفه فى الدنيا من الكبائر وان مات مصرا عليها بعد ان مات على الايمان وانما الخلود لمن مات على الكفر لما تقدم من الادلة القاطعة بذلك كما تقدم والله اعلم واحكم

قال الناظم رحمه الله

٦١ دُخُوْلُ النَّاسِ فِي الْجَنَّاتِ فَضْلٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ يَا اَهْلَ الْاَمَالِيْ

يعنى ان دخول المؤمنين الجنة انما هو بفضل الله تعالى وكرمه لان العبد لا يستحقه بعمله ولو عمل جميع الطاعات ولم يعص الله تعالى قط اذ لو كان كذلك لكان واجبا عليه تعالى اثابته وقد ثبت بالدلائل القطعية ان مولانا لا يجب

عليه شئ

عليه شئ فى ملكه و يجوز عليه سبحانه ان يعذب المطيع و يثيب العاصى اذ الكل ملكه و عبيده فيتصرف فى ملكه كيف يشاء و يحكم ما يريد لكنه تعا وعد الطائع بالثواب والعاصى بالعقاب والكريم اذا وعد وفى كرما و فضلا قال تعا إِنَّ اللهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ وقال تعا وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فان قلت ظاهر الآيتين ونحوهما من النصوص يفيد بظاهره ان الاعمال سبب لدخول الجنة فيؤيد ما ذهب اليه المعتزلة من ان دخول الجنة انما هو بسبب الاعمال وانه يجب اثابة الطائع وعقاب العاصى على ما ذهبوا اليه أجيب بان المراد بالجنة فيهما جنة خاصة اى تلك الجنة الخاصة الرفيعة بسبب الاعمال واما نفس الدخول فبالرحمة فالمقابل بالعمل انما هو زيادة الدرجات ورفع المقامات لا نفس الدخول أو ان الباء للملابسة اى اورثتموها ملابسة لاعمالكم اى لثواب اعمالكم او للعوض والمقابلة والمعطى بعوض يعطى مجانا لا للسببية لان المسبب لا يوجد بدون السبب فالعمل نفسه لا يستحق به احد الجنة ولا ينال به زيادة الدرجات وايضا ما لم يكن مقبولا والقبول انما يحصل برحمة الله لحديث البخارى لَنْ يُدْخِلَ احَدُكُمُ الْجَنَّةَ بِعَمَلِه قَالُوا وَلَا انت يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ وَلَا انا اِلَّا اَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِرَحْمَتِهِ وفى رواية لَنْ يُدْخِلَ اَحَدًا مِنْكُمُ الْجَنَّةَ عَمَلُهُ ولو سلم كون الباء للسببية واخرج الحاكم وصححه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : خَرَجَ مِنْ عِنْدِى جِبْرَائِيلُ آنِفًا فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ وَالَّذِى بَعَثَكَ بِالْحَقِّ اِنَّ لِلّٰهِ تَعَالٰى عَبْدًا مِنْ عِبَادِهِ عَبَدَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَمْسَمِائَةِ سَنَةٍ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ فِي الْبَحْرِ عَرْضُهُ وَطُولُهُ ثَلَاثُونَ ذِرَاعًا فِي ثَلَاثِينَ ذِرَاعًا وَالْبَحْرُ مُحِيطٌ بِهِ اَرْبَعَةَ آلَافِ فَرْسَخٍ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَاَخْرَجَ لَهُ عَيْنًا عَذْبَةً بِعَرْضِ الاصبع تبض بماء عذب فتستنقع فى اسفل الجبل وشجرة رمان تخرج كل ليلة رُمَّانَةً يَعْبُدُ اللهَ يَوْمَهُ فَاِذَا اَمْسٰى نَزَلَ فَاَصَابَ مِنَ الْوَضُوءِ واخذ تِلْكَ الرُّمَّانَةَ فاكلها ثُمَّ قَامَ لِصَلَاتِهِ فَسَئَلَ رَبَّهُ عِنْدَ وَقْتِ الْاَجَلِ اَنْ يَقْبِضَهُ سَاجِدًا قَالَ فَفَعَلَ فَنَحْنُ نَمُرُّ عَلَيْهِ اِذَا اَهْبَطْنَا واذا عرجنا فنجد له فِي الْعِلْمِ انه يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فيوقف بَيْنَ يَدَيِ اللهِ تعا فيقول الرَّبُّ جل جلاله اَدْخِلُوا عَبْدِيَ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي فيقول يَا رَبِّ بَلْ بِعَمَلِي فيقول تعا قَايِسُوا عَبْدِي بِنِعْمَتِي عَلَيْهِ وَبِعَمَلِهِ فيقايسونه فتوجد نِعْمَةُ الْبَصَرِ قد احاطت بِعِبَادَةِ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ وَبَقِيَتْ نِعَمُ الْجَسَدِ فَضْلًا عَلَيْهِ فيقول الرَّبُّ اَدْخِلُوا عَبْدِيَ النَّارَ فيجر اِلَى النَّارِ فينادى يَا رَبِّ بِرَحْمَتِكَ اَدْخِلْنِيَ الْجَنَّةَ فيقول رُدُّوهُ فيوقف بَيْنَ يَدَيْهِ

فيقول يا عبدى من خلقك ولم تك شيئاً فيقول انت يا رب فيقول من قواك لعبادة خمسمأة سنة فيقول انت يا رب فيقول من انزلك فى جبل وسطة اللجة واخرج لك الماء العذب من المالح واخرج لك كل ليلة رمانة وانما تطرح مرة فى السنة وسئلته ان يقبضك ساجداً ففعل فيقول انت يا رب قال فيقول تعا ذلك برحمتى وبرحمتى ادخلك الجنة ادخلوا عبدى الجنة فنعم العبد كنت يا عبدى فادخله الله الجنة ثم قال جبرائيل انما الاشياء برحمة الله يا محمد الاعراب دخول الناس مبتدأ فى الجنات متعلق بدخول وفضل خبر المبتدأ من الرحمن متعلق بفضل يا اهل الا مالى جملة ندائية تكملة للبيت والا مالى ان كان بغير ياء كما فى بعض النسخ فهو جمع امل وكان حقه الآمال بالمد وتركه لضرورة الوزن وان كان بالياء كما فى اغلب النسخ فيكون مراده الا مالى المتقدمة المقولة لتوحيد فكانه قال هنا يا اهل التوحيد او يا طالب هذه المنظومة ويكون فيه رد العجز على الصدر وهذا آخر ما قصده المص رحمه الله بمنظومته وافاد واحسنه واجاد ثم اخذ يطنب فى مدحه ويبالغ فى وصفه ويحرض على تعاطيه لما حوته اماليه بقوله رحمه الله تعا رحمة كثيرة

٦٢ لقد البست للتوحيد وشياً بديع الشكل كالسحر الحلال

لام لقد ابتدائية مؤكدة ولا معنى لجعلها ههنا موطئة للقسم كما قيل وقد حرف تحقيق البست يتعدى الى مفعولين والتاء ضمير المتكلم فاعله وللتوحيد اللام زائدة والمجرور فى محل نصب المفعول الاول وان قدر المفعول الاول اى تاليفى اونظمى فاللام متعلقة به ولا زيادة ح وهو اليق بالادب كما لا يخفى على اهل الادب مع انه المناسب لاول بيت قصيدته ووشيا المفعول الثانى على كل حال وفى بعض النسخ نظما مكان وشيا وبديع الشكل صفة اى بديعا شكله فالاضافة ليست محضة وفى الكلام استعارة بالكناية شبه هذا العلم كساه ثوب نظمه البديع او تاليفه على ما قدمنا بشئ مضمر فى النفس وهو الانسان المستاهل للبس الزينة على سبيل الكناية واثبت له شيئاً من لوازمه وهو الباس الوشى تخييل وذكر بداعة شكله ايهام فاللباس هنا معنوى لاحسى كما فى قوله تعا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وقوله كالسحر الحلال صفة ثانية لوشيا ووصف السحر بالحلال احتراس كقوله :

كسر الجرة عمدا وسقى الارض شرابا ۞ قلت والاسلام دينى ليتنى كنت ترابا ۞
ثم شبه نظمه وما احتوى عليه من البيان وسلاسة النظم والاوزان بالسحر الحلال بجامع الغرابة واستمالة النفوس اليه اذ كل من استمالك فقد سحرك وخرج بقيد الحلال الذى احترس به السحر الحرام الذى يكفر مستحله ان اخذ قبل التوبة وان تاب بعده فاختلف فيه هل له حقيقة فذهب اهل السنة الى ان له حقيقة وهى ما استعان فى تحصيله على التقرب الى الشياطين وذهب بعض المعتزلة وبعض اصحاب الشافعى الى انه لا حقيقة له ورد بقوله تعالى وَجَاؤُا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ وقوله وَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وبسورة الفلق وسبب نزولها ما كان من سحر لبيد بن الاعصم وحديثه فى الصحيحين وغيرهما عن عائشة رضى الله عنها ففيه انه صلى الله عليه وسلم قال لما حُلّ السحر عنه بعد نزول المعوذتين : «اِنَّ اللّٰهَ شَفَانِي» والشفاء انما يكون برفع العلة وزوال المرض فدل ذلك على ان له حقيقة فهى مقطوع به باخبار الله ورسوله.

فائدة ذكر فى الاستيعاب وغيره ان النبى صلى الله عليه وسلم قال رجلان من امتى «اَمَّا اَحَدُهُمَا فَيَسْبِقُ يَدُهُ اِلَى الْجَنَّةِ ثم يتبعها سَائِرُ جَسَدِهِ وَاَمَّا الآخَرُ فَيَضْرِبُ ضَرْبَةً فَيُفَرِّقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ» فاصيب يد زيد بن صرحان يوم حروراء ثم قتل يوم الجمل مع على رضى الله عنهما واما الآخر جندب بن كعب فرآى ساحرا يقال له ابو سبتان بالكوفة كان يلعب بين يدى الوليد بن عقبة يريهم انه يدخل فى فم الحمار ويخرج من دبره وانه يقطع راس نفسه ثم يعيدها فلما رآه جندب على تلك الحالة ضربه بسيفه فقتله فحبس الوليد جندبا فبلغ ذلك عثمان رضى الله عنه فكتب الى الوليد ان خل سبيله فكانوا يرونه ما اخبر به النبى صلى الله عليه وسلم (وحاصل معنى البيت) انى زينت علم التوحيد بقصيدة غريبة السبك فصيحة الالفاظ محشوة بالبلاغة كانها حلة موشوة بالذهب وفرائد الجواهر تميل القلوب اليها مع الطرب كانها السحر الحلال ثم قال الناظم رحمه الله تعالى رحمة واسعة

---

٦٣ يُسَلِّي الْقَلْبَ كَالْبُشْرَىٰ بِرَوْحٍ ۞ وَيُحْيِي الرُّوحَ كَالْمَاءِ الزُّلَالِ

يسلّى مضارع سلّاه عن كذا بتشديد اللام من التسلية اذا شغله بغيره عنه وسلى عن الشئ اذا تناساه واشتغل بغيره وفاعله مستتر يعود الى الوشى الذى

هو عبارة عن النظم او الى النظم على ما فى بعض النسخ والقلب مفعول يسلى وهو الشكل الصنوبرى المشدق الراس سمى به لتقلبه قال بعض الشراح وتبعه شيخنا وليس المراد به اللطيفة القائمة به وهى البصيرة انتهى وفيه نظر بل هى المراد ههنا اذ نفس الشكل الصنوبرى لحمة فلا يوصف نفسه بالتسلى بل باعتبار اللطيفة القائمة به كما لا يخفى على من له بصيرة وقوله كالبشرى متعلق بيسلى يعنى كتسليته بالبشرى والبشرى بضم الباء كالبشارة وهى اسم خبر سار حق لا علم به للمبشر به فهى اخص مطلقا من الخبر ويحتمل ان يراد بالبشرى نفس المسرة الحاصلة من بشارة او غيرها والاول انسب ههنا لقوله بروح وسميت بشارة لكونها تظهر فى بشرة الوجه والباء فى بروح للمصاحبة او بمعنى مع او متعلقة بالبشرى والروح بفتح الراء وسكون الواو بمعنى الراحة ومنه ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ اى يسلى القلب مع الراحة بحيث لا ينال القلب معها تعب ولا مشقة ويحيى عطف على يسلى وهو مضارع من الحياة ضد الموت مجاز عن الانتعاش اى ينعش الروح ففيه استعارة تبعية او مجاز عقلى وفاعله مستتر هو فاعل يسلى والروح بضم الراء وقد اختلف فيها واحسن ما قيل فيها انها جوهر نورانى له سريان فى البدن كسريان ماء الورد فى الورد وهى غير النفس قال ابن عباس رضى الله عنه فى ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التى بها العقل والتمييز والروح التى بها التحرك والتنفس فاذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه كما قال تعالى ﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ ولا التفات لقول من قال انها الدم لان من الحيوان ما لا دم له ولا لقول من قال انها النفس الداخل الخارج لان من الحيوان ما لا يتنفس الا عند الموت كالسمك والاقوال فيها كثيرة بلغت نحو الالف ومنهم من توقف لقوله تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وروى مالك رضى الله عنه انها صورة كصورة الجسد وقد منا بقية الكلام فيها فارجع اليه واختلف فى تقديم خلقها على الجسد وتاخيرها عنه على قولين مشهورين الاول تقديم خلق الروح على الجسد واستدل له بحديث اسناده ضعيف وهو ان الله خلق ارواح العباد قبل العباد بالفى عام فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف والثانى ذهب اليه جماعة واستدلوا له بما فى الحديث المشهور: ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح واجيب عنه بالفرق بين نفخ الروح وخلقه وقيل الخلف

لفظى

لفظي اذ من قال بتقديم خلقها اراد خلقها في عالم الذر وذلك لا نزاع فيه اذ المخاطب بألَسْتُ بِرَبِّكُمْ انما هو الارواح واين كانت الاجساد ح ومن قال بتاخيرها اراد نفخها في الجسد وذاك لا نزاع فيه لحديث الصحيحين : إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خُلُقُهُ فِي بَطْنِ اُمِّهِ اَرْبَعِينَ يَوماً نُطْفَةً ثم يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذٰلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذٰلِكَ ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ الحديث قال ابن القيم الملك وحده يرسل اليه ولم يقل ثم يرسل الملك اليه بالروح فيدخلها في بدنه لان الله تعا ارسل اليه الروح التي كانت موجودة قبل ذلك بالزمن الطويل انتهى فافهم واختلف ايضا في مقرها حال الحياة فجزم الغزالي انه القلب قال السيوطي وقد ظفرت بحديث يشهد له اخرجه ابن عساكر[1] في تاريخه وانظر ما قاله الغزالي فانه لا ياتي على قول الجمهور من المتكلمين من انها جسم لطيف شفاف لذاته سار في البدن كماء الورد واستظهر بعض المتكلمين انها بقرب القلب واما مقرها بعد الوفاة فارواح الانبياء عليهم السلام في الجنة لقوله تعا أُولٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وارواح السعداء من المؤمنين قيل انها في افنيه القبور قال بعض العلماء وهو الاصح قال ابن عبد البر[2] وهي مع ذلك ماذون لها في التصرف وتاوى الى محلها في عليين اوسجين وقوله كالماء الزلال الماء هو الجوهر السيال المتلون بلون انائه والعذب منه به حياة كل نام بامر الله ولذا بالغ في وصف نظمه بتشبيهه به بجامع احياء النفوس (وحاصل معنى البيت) ان هذا النظم تفرح به القلوب وترتاح له وتطرب كما تفرح بالبشرى السارة المصحوبة بالراحة ويحي به الارواح الانسانية من اماتة الجهل والعقائد الظلمانية كما يحي الماء العذب الارض بعد موتها وتنتعش به النفس عند ظلماتها وفيه من البديع الجناس التام بين رَوْح ورُوح قال الناظم رح

٦٤ خُوضُوا فِيهِ حِفْظاً وَاعْتِقَاداً ۞ تَنَالُوا أَحْسَنَ أَصْنَافِ الْمَنَالِ

خوضوا فعل والفاء فيه فصيحة من الخوض واصله الدخول في الماء ثم استعمل في الدخول في كل حديث محظورا وهم قال تعا حَتّٰى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ والمراد هنا الاعتناء في تعاطي هذه القصيدة المشتملة على ما يجب الاعتناء به مما يخلص العقائد من الكدورات والشكوك وفيه متعلق بخوضوا والضمير راجع الى الكتاب وحفظا نصب على التميز وكذا اعتقادا فهو كالقيد للاول اذ لافائدة

(١) ابن عساكر علي مؤلف تاريخ مدينة دمشق توفى سنة ٥٧١ هـ [١١٧٦ م.]

(٢) ابن عبد البر يوسف المالكي القرطبي توفي سنة ٤٦٣ هـ [١٠٧١ م.]

لمجرد الحفظ بدون الاعتقاد ولا للعلم بدون العمل وتنالوا بمعنى تصيبوا اوتقطوا مضارع نال وهو مجزوم بحذف النون على انه جواب الامر والواو فاعله وحسن مفعوله مضاف الى اصناف واصناف الى المنال والمنال العطاء واراد مافيه تخلق وارشاد والاصناف جمع صنف وهو اخص من النوع والنوع اخص من الجنس فالحيوان جنس والانسان نوع والزنجي صنف (وحاصل معنى البيت) انكم اذا علمتم ما اودعت في هذا النظم من الفوائد التي وصفتها وما احتوى عليه من المقاصد التي يجب الاعتناء بها فاقبلوا عليه اقبال رغبة واشرعوا في تعاطيه حفظا لمبانيه مع المداومة على قرائتها وفهما لمعانيه مع الجزم بحقيتها جزما لايقبل التغير تنالوا احسن اصنافا لعطاء واجمل اصنافا لرضاء من الله الكريم في الدنيا بالبركات والخلاص من ظلمة الشبهات وفي الآخرة بالفوز باعلى الدرجات والسلامة من البليات . قال الناظم رحمه الله تعالى رحمة واسعة

٦٥ وَكُونُوا عَوْنَ هٰذَا الْعَبْدِ دَهْرًا ... بِذِكْرِ الْخَيْرِ فِي حَالِ ابْتِهَالِ

كونوا امر من كان الناقصة والواو اسمها وعون خبرها والمراد به المعين وعون مضاف واسم الاشارة في محل جر مضاف اليه والعبد بدل منه واراد بالعبد نفسه ودهرا مفعول فيه وتقدم معناه ومافيه والتنوين فيه عوض عن الضمير والمراد دهركم وبذكر الخير متعلق بعون وفي حال ابتهال في محل النصب حال من ضمير كونوا اى حال كونكم مبتهلين اى حال تضرعكم (وحاصل معنى البيت) انى التمس ممن وفقه الله تعا الى تعاطي تاليف هذا والى فعل الخير ان يكونوا ناصري هذا العبد ومساعديه مدى دهرهم بالترحم والدعاء له بالمغفرة وسؤال الخير من الله تعا حال ابتهالهم وتضرعهم الى الله تعا فانه قد اسدى اليكم معروفا وماجزاء الاحسان الا الاحسان وقال عليه السلام مَنْ اَسْدىٰ اِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِؤهُ فَاِنْ لَمْ تَقْدِرُوا فَادْعُوا لَهُ اوكما قال ولان تنتفع الاموات بدعاء الاحياء . قال الناظم رحمه الله تعا

٦٦ لَعَلَّ اللّٰهَ يَعْفُوهُ بِفَضْلٍ ... وَيَرْزُقُهُ السَّعَادَةَ فِي الْمَآلِ

لعل للترجي من اخوات ان ولايترجى بها الا ما هو مشكوك الوقوع نحو لعل الحبيب يقدم ولا يقال لعل الميت يعود بخلاف ليت الشباب يعود وفي لعل عشر لغات مذكورة في محلها والله اسمها وجملة يعفوه في محل رفع خبرها والمراد بالعفو الغفران اى عدم المؤاخذة به من غير سبق عقوبة عليه اذ العفو قد يكون بعد نوع عقوبة بخلاف الغفران فانه لايكون

معه

معه عقوبة البتة لانه ستر من الاصل وعدى يعفو الى المفعول بنفسه اما التضمنه يسامحه اوهو من باب الحذف والايصال والاصل يعفو عنه ولو قال لعل الله يعفو عنه فضلا لكان ايضا حسنا مع استقامة الوزن وقيل عفا يتعدى بنفسه والمآل بالمد المرجع من آل اذا رجع والمراد ههنا مآله الى الدار الآخرة (وحاصل معنى البيت) انى اطلب منكم الدعاء لى بالخير وسؤال العفو والمغفرة لعل الله تعا يتقبل منكم فيعفو عن ذنوبى ويتجاوز عن سيئاتى فيكون ذلك سببا لنجاتى ووصولى الى السعادة الابدية اذ الدعاء ينفع الاحياء والاموات عند اهل السنة كما تقدم فائدة سعيد الآخرة من كتب فى الازل سعيدا وشقيها من كتب فى الازل شقيا على ما قدمنا قال شارح شافعى ثم المكتوب فى الازل من سعادة وشقاوة لا يتبدل بخلاف المكتوب فى غيره كاللوح المحفوظ وكالصحف التى تكتب الملائكة فيها عند نفخ الروح فى الانسان رزقه واجله وشقيا او سعيدا فلا مانع من تبدل ذلك قال ووقع فى عقائد الحنفية ان السعيد قد يشقى وعكسه والتغير على السعادة والشقاوة دون الاسعاد والاشقاء اذ هما من صفات الله تعا ولا تغير على الله تعا ولا على صفاته بل الحق كما قال المولى سعد الدين انه لا خلاف فى المعنى لانه ان اريد بالسعادة والشقاوة مجرد حصول المعنى اى الايمان فى السعادة والكفر فى الشقاوة فهو حاصل فى الحال وان حصول النجاة وترتب الثمرات فلا قطع بحصوله فى الحال وح يجمع بين الاقوال وادلة الطرفين بحمل ما دل على التبدل على انه بالنسبة الى الملائكة والى ما فى الصحف وما دل على عدم التبدل على انه بالنسبة الى علم مولانا عزوجل وقد منا نحوه والله اعلم

قال الناظم رحمه الله

٦٧ وَاِنِّى الدَّهْرَ اَدْعُو كُنْهَ وُسْعِى ۞ لِمَنْ بِالْخَيْرِ يَوْمًا قَدْ دَعَا لِى

وفى نسخة: وانى الدهر ادعو كل وقت، اراد بالدهر مدة عمره وكنه الشئ غايته وقيل يطلق ويراد به حقيقة الشئ والوسع بضم الواو الطاقة الاعراب انى الياء اسم ان والدهر منصوب على الظرفية لادعو قدم عليه وادعو مضارع دعا وفاعله مستتر ضمير المتكلم وفيه التفات بالنسبة الى البيت التى قبله وكنه منصوب بنزع الخافض او على الظرفية توسعا وهو مضاف الى وسعى لمن جار ومجرور متعلق بادعو وبالخير متعلق بدعا ويوما ظرف له (وحاصل معنى البيت) انى ادعو الله تعا طول عمرى ومدة حياتى بغاية طاقتى لمن دعا لى يوما من الايام بخير فى حياتى او بعد وفاتى ونسئل الله تعا ان يغفر لنا وله ولوالدينا ولمشايخنا ولاخواننا المسلمين اجمعين ويسكننا واياهم فى الجنان انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير

تم تحرير الكتاب بعون الله الوهاب على يد احمد حلمى القونغى، ذوالقعدة ١٣٩٨ هـ ١٥، اكيم ١٩٧٨ م ١٨، تشرين اول ١٣٥٦ شمسية ٥

بدء الامالى

لسراج الدين علىّ بن عثمان الاوشى الفرغانى [1] ٥٦٩ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

صحيفه

١ يَقُولُ الْعَبْدُ فِي «بَدْءِ الْأَمَالِي» لِتَوْحِيدٍ بِنَظْمٍ كَاللَّآلِي ٥

٢ اِلٰهُ الْخَلْقِ مَوْلَانَا قَدِيمٌ وَمَوْصُوفٌ بِأَوْصَافِ الْكَمَالِ ٨

٣ هُوَ الْحَيُّ الْمُدَبِّرُ كُلَّ اَمْرٍ هُوَ الْحَقُّ الْمُقَدِّرُ ذُوالْجَلَالِ ١١

٤ مُرِيدُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ الْقَبِيحِ وَلٰكِنْ لَيْسَ يَرْضٰى بِالْمُحَالِ ١٢

٥ صِفَاتُ اللهِ لَيْسَتْ عَيْنَ ذَاتٍ وَلَا غَيْرًا سِوَاهُ ذَا انْفِصَالِ ١٤

٦ صِفَاتُ الذَّاتِ وَالْاَفْعَالِ طُرًّا قَدِيمَاتٌ مَصُونَاتُ الزَّوَالِ ١٥

٧ نُسَمِّي اللهَ شَيْئًا لَا كَالْاَشْيَا وَذَاتًا عَنْ جِهَاتِ السِّتِّ خَالِي ١٧

٨ وَلَيْسَ الْاِسْمُ غَيْرًا لِلْمُسَمّٰى لَدٰى اَهْلِ الْبَصِيرَةِ خَيْرِ آلِ ١٩

٩ وَمَا اِنْ جَوْهَرٌ رَبِّي وَجِسْمٌ وَلَا كُلٌّ وَبَعْضٌ ذُوا شْتِمَالِ ٢١

١٠ وَفِي الْاَذْهَانِ حَقٌّ كَوْنُ جُزْءٍ بِلَا وَصْفِ التَّجَزِّي يَا ابْنَ خَالِي ٢٣

١١ وَمَا الْقُرْاٰنُ مَخْلُوقًا تَعَالٰى كَلَامُ الرَّبِّ عَنْ جِنْسِ الْمَقَالِ ٢٥

١٢ وَرَبُّ الْعَرْشِ فَوْقَ الْعَرْشِ لٰكِنْ بِلَا وَصْفِ التَّمَكُّنِ وَاتِّصَالِ ٢٧

١٣ وَمَا التَّشْبِيهُ لِلرَّحْمٰنِ وَجْهًا فَصُنْ عَنْ ذَاكَ اَصْنَافَ الْاَهَالِي ٢٩

١٤ وَلَا يَمْضِي عَلَى الدَّيَّانِ وَقْتٌ وَاَحْوَالٌ وَاَزْمَانٌ بِحَالِ ٣١

١٥ وَمُسْتَغْنٍ اِلٰهِي عَنْ نِسَاءٍ وَاَوْلَادٍ اِنَاثٍ اَوْ رِجَالِ ٣٢

(١) علي الاوشي الفرغاني توفي سنة ٥٧٥ هـ [١١٨٠ م.]

صحیفه

١٦ كَذَا عَنْ كُلِّ ذِي عَوْنٍ وَنَصْرٍ   تَفَرَّدَ ذُو الْجَلَالِ وَذُو الْمَعَالِي ٣٣

١٧ يُمِيتُ الْخَلْقَ قَهْرًا ثُمَّ يُحْيِي   فَيَجْزِيهِمْ عَلَى وَفْقِ الْخِصَالِ ٣٤

١٨ لِأَهْلِ الْخَيْرِ جَنَّاتٌ وَنُعْمَى   وَلِلْكُفَّارِ إِدْرَاكُ النَّكَالِ ٣٧

١٩ وَلَا يَفْنَى الْجَحِيمُ وَلَا الْجِنَانُ   وَلَا أَهْلُوهُمَا أَهْلُ انْتِقَالِ ٣٩

٢٠ يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ بِغَيْرِ كَيْفٍ   وَإِدْرَاكٍ وَضَرْبٍ مِنْ مِثَالِ ٤١

٢١ فَيَنْسَوْنَ النَّعِيمَ إِذَا رَأَوْهُ   فَيَا خُسْرَانَ أَهْلِ الْاِعْتِزَالِ ٤٤

٢٢ وَمَا إِنْ فِعْلُ أَصْلَحَ ذُو افْتِرَاضٍ   عَلَى الْهَادِي الْمُقَدَّسِ ذِي التَّعَالِي ٤٦

٢٣ وَفَرْضٌ لَازِمٌ تَصْدِيقُ رُسْلٍ   وَأَمْلَاكٍ كِرَامٍ بِالتَّوَالِي ٤٩

٢٤ وَخَتْمُ الرُّسْلِ بِالصَّدْرِ الْمُعَلَّى   نَبِيٌّ هَاشِمِيٌّ ذُو جَمَالِ ٥٣

٢٥ إِمَامُ الْأَنْبِيَاءِ بِلَا اخْتِلَافٍ   وَتَاجُ الْأَصْفِيَاءِ بِلَا اخْتِلَالِ ٥٤

٢٦ وَبَاقٍ شَرْعُهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ   إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَارْتِحَالِ ٥٨

٢٧ وَحَقٌّ أَمْرُ مِعْرَاجٍ وَصِدْقٌ   فَفِيهِ نَصُّ أَخْبَارٍ عَوَالِ ٦٠

٢٨ وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَفِي أَمَانٍ   عَنِ الْعِصْيَانِ عَمْدًا وَانْعِزَالِ ٦٢

٢٩ وَمَا كَانَتْ نَبِيًّا قَطُّ أُنْثَى   وَلَا عَبْدٌ وَشَخْصٌ ذُو افْتِعَالِ ٦٤

٣٠ وَذُو الْقَرْنَيْنِ لَمْ يُعْرَفْ نَبِيًّا   كَذَا لُقْمَانُ فَاحْذَرْ عَنْ جِدَالِ ٦٦

٣١ وَعِيسَى سَوْفَ يَأْتِي ثُمَّ يَتْوِي   لِدَجَّالٍ شَقِيٍّ ذِي خَبَالِ ٦٨

٣٢ كَرَامَاتُ الْوَلِيِّ بِدَارِ دُنْيَا   لَهَا كَوْنٌ فَهُمْ أَهْلُ النَّوَالِ ٧٢

٣٣ وَلَمْ يَفْضُلْ وَلِيٌّ قَطُّ دَهْرًا   نَبِيًّا أَوْ رَسُولًا فِي انْتِحَالِ ٧٤

٣٤ وَلِلصِّدِّيقِ رُجْحَانٌ جَلِيٌّ   عَلَى الْأَصْحَابِ مِنْ غَيْرِ احْتِمَالِ ٧٧

٣٥ وَلِلْفَارُوقِ رُجْحَانٌ وَفَضْلٌ   عَلَىٰ عُثْمَانَ ذِي النُّورَيْنِ عَالِي ٧٨
٣٦ وَذُو النُّورَيْنِ حَقًّا كَانَ خَيْرًا   مِنَ الْكَرَّارِ فِي صَفِّ الْقِتَالِ ٨٠
٣٧ وَلِلْكَرَّارِ فَضْلٌ بَعْدَ هٰذَا   عَلَى الْأَغْيَارِ طُرًّا لَا تُبَالِ ٨١
٣٨ وَلِلصِّدِّيقَةِ الرُّجْحَانُ فَاعْلَمْ   عَلَى الزَّهْرَاءِ فِي بَعْضِ الْخِصَالِ ٨٤
٣٩ وَلَمْ يَلْعَنْ يَزِيدًا بَعْدَ مَوْتٍ   سِوَى الْمِكْثَارِ فِي الْإِغْرَاءِ غَالِ ٨٥
٤٠ وَإِيمَانُ الْمُقَلِّدِ ذُو اعْتِبَارٍ   بِأَنْوَاعِ الدَّلَائِلِ كَالنِّصَالِ ٨٨
٤١ وَمَا عُذْرٌ لِذِي عَقْلٍ بِجَهْلٍ   بِخَلَّاقِ الْأَسَافِلِ وَالْأَعَالِي ٩٠
٤٢ وَمَا إِيمَانُ شَخْصٍ حَالَ يَأْسٍ   بِمَقْبُولٍ لِفَقْدِ الْاِمْتِثَالِ ٩٢
٤٣ وَمَا أَفْعَالُ خَيْرٍ فِي حِسَابٍ   مِنَ الْإِيمَانِ مَفْرُوضَ الْوِصَالِ ٩٥
٤٤ وَلَا يُقْضَىٰ بِكُفْرٍ وَارْتِدَادٍ   بِقَهْرٍ أَوْ بِقَتْلٍ وَاخْتِزَالِ ٩٩
٤٥ وَمَنْ يَنْوِ ارْتِدَادًا بَعْدَ دَهْرٍ   يَصِرْ عَنْ دِينِ حَقٍّ ذَا انْسِلَالِ ١٠٠
٤٦ وَلَفْظُ الْكُفْرِ مِنْ غَيْرِ اعْتِقَادٍ   بِطَوْعٍ رَدُّ دِينٍ بِاغْتِفَالِ ١٠٣
٤٧ وَلَا يُحْكَمْ بِكُفْرٍ حَالَ سُكْرٍ   بِمَا يَهْذِي وَيَلْغُو بِارْتِجَالِ ١٠٥
٤٨ وَمَا الْمَعْدُومُ مَرْئِيًّا وَشَيْئًا   لِفِقْهٍ لَاحَ فِي يُمْنِ الْهِلَالِ ١٠٦
٤٩ وَغَيْرَانِ الْمُكَوِّنُ لَا كَشَيْءٍ   مَعَ التَّكْوِينِ خُذْهُ لَاكْتِحَالِ ١٠٧
٥٠ وَإِنَّ السُّحْتَ رِزْقٌ مِثْلُ حِلٍّ   وَإِنْ يُكْرَهْ مَقَالِي كُلُّ قَالِ ١٠٨
٥١ وَفِي الْأَجْدَاثِ عَنْ تَوْحِيدِ رَبِّي   سَيُبْلَىٰ كُلُّ شَخْصٍ بِالسُّؤَالِ ١١٦
٥٢ وَلِلْكُفَّارِ وَالْفُسَّاقِ يُقْضَىٰ   عَذَابُ الْقَبْرِ مِنْ سُوءِ الْفِعَالِ ١١٨
٥٣ دُخُولُ النَّاسِ فِي الْجَنَّاتِ فَضْلٌ   مِنَ الرَّحْمٰنِ يَا أَهْلَ الْأَمَالِي ١٣٢

حساب